(ما) بين الاسمية والحرفية
دراسة دلالية تطبيقية على الآيات القرآنية

د٠ طاهر عبد الفتاح الطويل (*)

المقدمة :

بسم الله ، والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد .....

فإن من يتفيأ في ظلال القرآن فلا يفتأ يبغي وصلها والبقاء فيها ؛ فليس من سمع كمن رأى ، ولا من ذاق كمن عرف . ولقد عزمت وأنا أُعد بحثي (اختلاف الإحالة على ضمير الغائب وأثره في النص القرآني)(١) ألا أبرح هذه الظلال ، وأن أواصل هذا التفيؤ ؛ فأفوز بالحسنيين معًا – إن شاء الله– : تعلُّم العلم ، وشرف المتعلَّم . ولقد لفت نظري أثناء إعداد بحثي المشار إليه آنفًا بعض المواضع التي اختلفت فيها الدلالة القرآنية في بعض الآيات التي وردت فيها كلمة (ما) ؛ وذلك لاختلاف تأويل النحاة لمعنى (ما) بين الاسمية والحرفية، ثم اختلاف تأويلها داخل كلا النوعين ؛ ما كان له أثر واضح في تغير الدلالة ، وما يترتب عليه من اختلاف مواضع الوقف والابتداء أحيانًا تبعًا لكل دلالة ؛ فرأيت أن أعيد النظر في تلك المواضع ، وأضيف إليها ؛ عساني أن أقدم تصورًا لهذه الظاهرة في القرآن الكريم .

ويعد هذا البحث محاولة في إظهار النكت الدلالية القرآنية تبعًا لاختلاف معنى (ما) بين كونها اسمًا (اسمًا موصولًا، أو اسمَ استفهامٍ، أو اسمَ شرطٍ، ....)؛ أو حرفًا (حرفَ نفيٍ، أو حرفًا مصدريًّا، أو حرفًا زائدًا، ...).

(*) دكتوراه فى النحو والصرف والعروض – كلية دار العلوم – جامعة القاهرة.

(١) بحث منشور في مجلة كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة ، أغسطس ٢٠١٩ م .

واختلاف معني المفردة الواحدة[1] ، أو جمعها بين معانٍ عدة من الأمور التي تتميز بها اللغة العربية ، وتشيع فيها ؛ فتجد المفردة الواحدة تحتمل أكثر من معنًى . والأمر إذا توقف عند هذا الحدّ فإني لا أرى فيه جمالًا ولا تميزًا ؛ لأن الأمر لن يعدو أن يكون أكثر من كونه – إن جاز التعبير– اختصارًا ، أو مجرد اشتراك معانٍ متعددة في لفظ واحد ، والسياق هو الذي يحدد المعنى المقصود ؛ وبذلك فلا نكتة في الأمر ، أو قل : إنها نكتة محدودة ؛ وإنما النكتة تكتمل ويزداد جمالها حينما يحتمل السياق أكثر من معنى لهذه المفردة ؛ فتجد نفسك أمام تركيب واحد كالبلورة التي تشع نورًا وضياءً كلما قلبتها بين يديك ، أو اختلفت زاوية نظرك إليها .

وتكمن **أهمية البحث** في ناحيتين : **الأولى** : تعلقه بأرقى النصوص العربية ، وأجلها شأنًا ، وأرفعها بلاغة ألا وهو القرآن الكريم ، ذلكم الكتاب المعجز الذي تحدى الله به أرباب الفصاحة والبيان ؛ فلم يستطيعوا أن يأتوا بآية من مثله . فكان في تقليب إحدى مفرداته بين معانيها المختلفة في التركيب نفسه ما يجلي غوامضه ، ويظهر محاسنه .

الثانية : تناول إحدى الظواهر اللغوية في النص القرآني ، وهي تعدد المعنى الدلالي للمفردات في التركيب الواحد وأثره في المعنى ، من خلال تناول (ما) بمعانيها المختلفة ، ودور ذلك الاختلاف في إثراء الدلالة القرآنية ، دون حدوث تناقض بين معاني النص القرآني .

---

(١) استعرت هذا المصطلح من ابن هشام في المغني إذ جعل الباب الأول من كتابه في (تفسير المفردات، وذكر أحكامها)، وعرَّفها بقوله : " وأعنى بالمفردات الحروف وما تضمن معناها من الأسماء والظروف " : ١٩/١ ، تحقيق الأستاذ الشيخ/ محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، ١٤١١هـ –١٩٩١م .

أما **موضوع البحث** فهو قائم على دراسة دلالية لبعض الآيات التي تعددت فيها معاني (ما)- سواء ما كان منها اسمًا أو حرفًا-، وأثر ذلك في اختلاف الدلالة القرآنية ، ومن ثم النظر في تلك الدلالات ، ومناقشتها ، ومحاولة التوفيق بينها .

وقد حاولت مجتهدًا قدر استطاعتي ، وبتوفيق من الله أن أعقب على تلك الدلالات، أو أرجح وجهًا على آخر، أو أقف على العلاقة التي تربط بين تلك الدلالات المختلفة؛ وصولاً إلى أن هذه الأوجه ليست منفصلة عن بعضها البعض، وأن المعنى الكامل لا يفهم إذا اقتصرنا على وجه واحد .

وهذا البحث ليس بحثًا إحصائيًّا؛ فلم يكن هدفي الإحصاء بقدر ما كان اختلاف الدلالة هو غايتي التي يممت وجهي شطرها؛ لذلك فقد عدلت عن بعض المواضع التي لم ألحظ فيها اختلافًا دلاليًّا ملحوظًا، أو كانت تكرارًا لوجه سبق ذكره .

وأما عن **أهداف البحث**، فمنها :

١- بيان أهمية المفردات ذوات المعاني المختلفة .

٢- تعرف دور المفردات ذوات المعاني المختلفة في تشكيل الدلالة بشكل عام، والدلالة القرآنية بشكل خاص .

٣- الوقوف على بعض النكت والدلالات القرآنية ؛ نتيجة اختلاف معنى (ما)، ومناقشتها، وترجيح إحداها أحيانًا.

٤- الوقوف -ما أمكن - على العلاقات التي تربط بين تلك الدلالات.

٥- بيان أن المعنى القرآني لا يكتمل أحيانًا إلا بالجمع بين تلك الدلالات.

٦- بيان ما للقرائن الخارجية كالنبر والتنغيم من دور مهم في إيصال الدلالات القرآنية المختلفة للمتلقي.

وأما **سبب اختيار موضوع البحث**، فهو شغف الباحث بالموضوعات المتعلقة بالقرآن الكريم، وبخاصة تلك التي تبين تعدد معانيه وتكاملها، واختلاف أوجه

بيانه؛ حيث يعد القرآن الكريم على مرَّ العصور ميدانًا خصبًا للدراسات اللغوية ومعالجة قضاياها .

وأما **المنهج المستخدم** في البحث فهو المنهج الوصفي التحليلي الذي يعنى بوصف الظاهرة وتحليلها ، والوقوف على أسبابها ، وأثرها .

وقد اشتمل البحث على مقدمة ، وتمهيد، ودراسة دلالية ، ثم الخاتمة. أما المقدمة فقد تحدثت فيها عن إحدى الظواهر اللغوية ، وهي المفردات ذوات المعاني المختلفة؛ وموضوع البحث، وأهميته، وأهدافه، وسبب اختياره، والمنهج المستخدم فيه .

وأما التمهيد فقد تحدثت فيه عن (ما) ونوعيها(اسمية ، وحرفية) عندالنحاة، وأهم المعاني التي تحتملها في كلا النوعين .

وأما الدراسة الدلالية التي قام عليها البحث فقد اشتملت على الآيات التي عرضتها لبيان الأوجه الدلالية القرآنية وتعددها تبعًا لاختلاف معنى (ما) ؛ وقد اتبعت في ترتيب هذه الآيات ورودها في المصحف الشريف.

وجاءت الخاتمة متضمنة أهم نتائج البحث .

هذا؛ فإن أصبت فالله أشكر ، وإن كانت الأخرى فحسبي أني لم أدخر وسعًا ولا طاقة في سبيل غايتي . والله من وراء القصد ، وهو يهدي السبيل .

تمهيد

تعد (ما) إحدى المفردات اللغوية ذوات المعاني المتعددة ، التي تختلف وظيفتها النحوية ودورها الدلالي داخل التركيب اللغوي، وقد جاء الحديث عنها في التراث النحوي موزعًا على أبواب النحو العربي ، ومتناثرًا بين ثناياه وقضاياه حسبما اقتضت الحاجة للحديث عنها ؛ كما هو الحال في كتاب سيبويه، ومن جاء بعده من النحاة . وأظن أن المبرد قد تنبه لشيء من هذا في المقتضب فجعل لها جزءًا سماه (باب ما مِن الكلم على حرفين) ذكر فيه طرفًا من هذه المفردات ومعانيها مثل (مَن ، وما، وإنْ ، وغير ذلك) . ولعل أول مَن أفرد لهذه المفردات مؤلفًا – فيما أعلم– وإن اقتصر حديثه عن إحداها ، هو أبو القاسم الزجاجي في كتابه (اللامات) ، ثم الرماني في كتابه (معاني الحروف)[1]، والهروي في كتابه (الأزهية في علم الحروف) ، ثم كان المالقي الذي اتسم بالتوسع والشمول في كتابه (رصف المباني) ، ومن بعده المرادي في(الجنى الداني) ، وابن هشام الذي خصص لهذه المفردات جزءًا كبيرًا من كتابه (مغني اللبيب) .

و(ما) إحدى هذه المفردات التي تجمع بين الاسمية والحرفية ، وتتوزع معانيها بين هذين النوعين ، وسوف أُوجز فيما يلي أهم الأنواع والمعاني التي تدور حولها (ما) الاسمية والحرفية :

---

(١) هناك كتاب آخر منشور للرماني بعنوان (منازل الحروف) نشرته دار الفكر بعمان ، تحقيق الأستاذ إبراهيم السامرائي ، وهو جزء من كتاب معاني الحروف .

(ما) بين الاسمية والحرفية

أولا : أنواع ومعاني (ما) الاسمية :

١- **الاستفهامية** : وهي نكرة[١]، يستفهم بها عن الأجناس مطلقًا[٢]؛ "فتكون استفهامًا عما لا يعقل ، وعن صفات من يعقل"[٣] . ومعناها :

أيُّ شيء ؟[٤] ، كقولك : ما هذا ؟ ، و " قولهم : ما زيدٌ ؟ فيقول : شريف أو وضيع "[٥] .

٢- **الشرطية** : وهي نكرة[٦]، تستخدم مع غير العاقل[٧] ، وذكر ابن هشام أنها نوعان[٨] : زمانية كقوله تعالى :﴿فَمَا اسْتَقَامُواْ لَكُمْ فَاسْتَقِيمُواْ لَهُمْ﴾[٩] ، وغير زمانية كقوله تعالى : ﴿وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللّهُ﴾[١٠] .

---

(١) انظر الكتاب، سيبويه، تحقيق وشرح الأستاذ / عبد السلام محمد هاون، مكتبة الخانجي، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م : ٢٢٨/٤ .

(٢) انظر الكتاب :٢٢٨/٤ . المقتضب، المبرد ، تحقيق الشيخ/ محمد عبد الخالق عضيمة ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وزارة الأوقاف المصرية، الطبعة الثالثة ١٤١٥هـ-١٩٩٤م : ١٧٩/١. مصابيح المغاني، محمد بن الخطيب الموزعي، دراسة وتحقيق د/ عائض بن نافع العمري، دار المنار، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م ، صـ : ٤٧٥ .

(٣) معاني الحروف، علي بن عيسى الرماني ، حققه وخرج حديثه وعلق عليه الشيخ/ عرفان بن سليم العشا حسونة، المكتبة العصرية، صيدا، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م ، ص : ٥٩ .

(٤) انظر الأزهية في علم الحروف ، علي بن محمد الهروي ، تحقيق/ عبد المعين الملوحي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م ، ص : ٧٥ . مغني اللبيب : ٣٢٨/١ .

(٥) المقتضب : ١٨٦/١ ، وانظر معاني الحروف للرماني ، ص : ٥٩ .

(٦) انظر مغني اللبيب : ٢٣٢/١ .

(٧) انظر المقتضب : ١٨٦/١. شرح التسهيل، ابن مالك، تحقيق / محمد عبد القادر عطا ، وطارق فتحي السيد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م : ٣٨٧/٣ .

(٨) انظر مغني اللبيب : ٣٣٢/١ .

(٩) سورة التوبة ، من الآية (٧) .

(١٠) سورة البقرة ، من الآية (١٩٧) .

٣- **الموصولة** : وهي معرفة ناقصة بمعنى (الذي) ، تفتقر إلى صلة وعائد[١] ، تستخدم مع غير العاقل على اختلاف نوعه وعدده ، وقد تستخدم مع العاقل[٢] . تقول : يعجبني ما تصنع ، أيْ : يعجبني الذي تصنع .

٤-**التعجبية** : وهي نكرة تامة[٣] ، نحو ما أحسن زيدًا ، أيْ : شيءٌ حسَّن زيدًا، وهي مبتدأ والجملة بعدها خبر[٤] . وأجاز الأخفش أن تكون موصولة والجملة بعدها صلتها ، وأن تكون نكرة موصوفة والجملة بعدها صفة ، والخبر معهما محذوف[٥] ، ونُسب للكوفيين القول : إنها استفهامية[٦] .

٥- **نكرة ناقصة** (موصوفة) بمعني (شيء) ، كقولك : مررت بما معجب لك، أي : بشيء معجب لك[٧] .

ثانيًا : أنواع ومعاني (ما) الحرفية :

١ – **النافية** : تدخل على الاسم على خلاف بين الحجازيين وبني تميم في عملها عمل (ليس) بالشروط التي نص عليها النحاة ، كقولك : ما زيدٌ قائمًا، أو ما زيدٌ قائمٌ. وتدخل على الفعل الماضي نحو(ما قامَ زيدٌ) فتبقيه على مضيه، وتدخل على المضارع فتخلصه للحال ؛ فتقول : ما يقوم زيدٌ . وتجعله للمستقبل

---

(١) انظر شرح الكافية الشافية ، ابن مالك ، تحقيق/ علي محمد عوض ، وعادل أحمد عبد الموجود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م : ١١٦/١ ، مغني اللبيب : ٣٢٦/١ .

(٢) انظر شرح الكافية الشافية : ١١٦/١

(٣) هو مذهب سيبويه وجمهور البصريين انظر الكتاب : ٧٢/١ ، شرح الكافية الشافية: ١/ ٤٨٤ ، مغني اللبيب : ٣٢٧/١ .

(٤) انظر شرح الكافية الشافية: ١/ ٤٨٣ ، مغني اللبيب :٣٢٧/١ ، الجنى الداني في حروف المعاني ، الحسن بن أم قاسم المرادي ، تحقيق د/فخر الدين قباوه ، والأستاذ / محمد نديم فاضل ، دار الكتب العلمية . بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م، ص : ٣٣٧ .

(٥) انظر شرح الكافية الشافية : ١/ ٤٨٤ ، مغني اللبيب :٣٢٧/١ ، الجني الداني، ص : ٣٣٧ .

(٦) انظر الجني الداني ، ص : ٣٣٧ .

(٧) انظر معاني الحروف ، ص : ٦١ ، الأزهية ، ص : ٨٢ ، مغني اللبيب : ٣٢٦/١ .

إذا ورد ما يدل عليه، كقولك : ما يقومُ زيدٌ غدًا[١]. وأجاز ابن مالك أن تخلصه للمستقبل[٢].

٢- **المصدرية**[٣] : تؤول مع ما بعدها بمصدر ، وتنقسم إلى : غير زمانية كقولك : يعجبني ما صنعت ، أيْ : صنعك . وزمانية (ظرفية) ، كقوله تعالى : ﴿مَا دُمْتُ حَيًّا﴾[٤]، أي : مدة دوامي[٥].

٣- **الزائدة**[٦] : ولها معانٍ عدة :

أ - **التوكيد** : ودخولها في الكلام كخروجها ؛ فتزاد بعد حرف الجر كقوله تعالى : ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ﴾[٧]، وبعد (إذا) و(إنْ) الشرطيتين كقوله تعالى : ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾[٨]، وقوله: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً﴾[٩].

---

(١) انظر: معاني الحروف ص ٦١ ، رصف المباني ، أحمد بن عبد النور المالقي ، تحقيق د/ أحمد محمد الخراط ، دار القلم ، دمشق ، الطبعة الثالثة ، ١٤٢٣هـ -٢٠٠٢م ، ص ٣٨٠ ، الجنى الداني ص ٣٢٩ .

(٢) انظر شرح التسهيل : ٢٨/١.

(٣) هو مذهب سيبويه وجمهور البصريين ، انظر الكتاب : ١١/٣، ١٥٦ ، وذهب الأخفش وبعض الكوفيين إلى أنها اسم ، انظر معاني الحروف ص ٦٢ ، رصف المباني ص ٣٨١ ، الجنى الداني ص ٣٣٢ .

(٤) سورة مريم ، من الآية (٣١) .

(٥) انظر الكتاب : ١٠٢/٣ ، معاني الحروف ص ٦٢ ، الأزهية ص ٨٣ ، رصف المباني ص ٣٨٠ .

(٦) انظر معاني الحروف ص ٦٢ ، الأزهية ص ٨٨ ، رصف المباني ص ٣٨٢ ، الجنى الداني ص ٣٣٢ .

(٧) سورة آل عمران ، من الآية (١٥٩) .

(٨) سورة التوبة ، من الآية (١٢٤) .

(٩) سورة الأنفال ، من الآية (٥٨) .

ب- **الكافة** : تكف العامل عن النصب ، وذلك بعد (إنّ) وأخواتها ، وبالخلاف مع (ليت) ؛ كقوله تعالى :﴿**إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ**﴾[١] ، وتكفه عن الجرّ ، وذلك بعد (رُبّ) ؛ فتقول : ربما زيدٌ في الدار . وتكفه عن الرفع ، وذلك بعد الأفعال (قلَّ) ، و(كثر) ، و(طال) ؛ فتكف الفعل عن العمل فلا يرفع فاعلًا ؛ فيدخل على فعل مثله ، فتقول : قلما يأتي زيدٌ .

ج –**المهيِّئة (الموطِّئة)** : وهي الكافة لـ(إنَّ) وأخواتها ، و(رُبَّ) إذا وليها الفعل ؛ لأنها هيأت هذه الألفاظ للدخول على الفعل ، وحقها أن تدخل على الأسماء . كقوله تعالى : ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾[٢] ، وقوله:﴿**رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ**﴾[٣] .

د – **العوضية** : وهي إما عوضًا عن فعل كقولهم : أمّا أنت منطلقًا انطلقتُ، والأصل : لإنْ كنتَ منطلقًا انطلقتُ . فحذفت لام التعليل ، وحذفت (كان) ؛ فانفصل الضمير المتصل ، وجيء بـ(ما) عوضًا عن (كان) . وإما عوضًا عن الإضافة كما في (حيثما، وكيفما ، وإذما) ؛ لأنها قصد بها الجزم وقطعت عن الإضافة .

هـ- **المغيِّرة لمعنى الحرف** : وذلك مع (لوما) في نحو قوله تعالى :﴿**لَوْمَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ**﴾[٤] ، أي هلَّا تأتينا ؛ فقد تغير معنى (لو) من كونها لامتناع الشيء لامتناع غيره إلى معنى التحضيض[٥] .

---

(١) سورة النساء ، من الآية (١٧١) .
(٢) سورة فاطر ، من الآية (٢٨) .
(٣) سورة الحجر ، الآية (٢) .
(٤) سورة الحجر ، من الآية (٧) .
(٥) انظر معاني الحروف ص ٦٣ ، الأزهية ص ٩٩ .

١-قوله تعالى حكاية عن يهود المدينة (بنو قريظة ، وبنو النضير): ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَؤُلاء تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقاً مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[1].

أُختلف في (ما) والمراد منها في قوله : ﴿فَمَا جَزَاءُ....﴾على وجهين :

الأول: أنها حرف نفي لا محل له من الإعراب ، و(إلا) أداة استثناء ؛ وعليه فإنه أسلوب استثناء مفرغ ؛ فيكون (جزاء) مبتدأً، و(خزي) خبر[2].

---

(١) سورة البقرة ، من الآية (٨٥) .

(٢) اختاره العكبري في إملاء ما منَّ به الرحمن ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، بدون محقق أو تاريخ طبع : ٤٩/١ ، وأبو حيان في البحر المحيط ، حقق أصوله وعلق عليه وخرج أحاديثه د / عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢ م : ٤٢٦/١، والآلوسي في روح المعاني، تحقيق / ماهر حبّوش وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م: ٢٩٣/٢ . وانظر مشكل إعراب القرآن، مكي بن أبي طالب القيسي ، تحقيق د / حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية ، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٤م : ١٠٤/١ ، البيان في غريب إعراب القرآن، أبو البركات بن الأنباري، تحقيق د / طه عبد الحميد، مراجعة د / مصطفى السقا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م : ١٠٥/١، الفريد في إعراب القرآن المجيد، المنتجب الهمذاني، حقق نصوصه وخرجه وعلق عليه : محمد نظام الدين الفتيح، دار الزمان للنشر والتوزيع، السعودية، الطبعة الأولى١٤٢٧هـ -٢٠٠٦م: ٣١٨/١، الدر المصون ، السمين الحلبي، تحقيق د/ أحمد محمد الخراط ، دار القلم ، دمشق ، د.ت : ٤٨٤/١ .

الثاني: أنها اسم استفهام في محل رفع مبتدأ ، و(جزاء) خبر ، و(خزي) بدل من (جزاء) [١]، والتقدير " أيُّ شيء جزاء من يفعل ذلك منكم "[٢] .

ولعل المتأمل في كلا المعنيين يرى أن كليهما يخدم المعنى ، وأنه لا تعارض بينهما ؛ فمجيء (ما) النافية في أسلوب الاستثناء المفرغ زاد الجملة تأكيدًا ، وقصر العذاب والخزي عليهم ؛ فأصل الكلام : جزاءُ من يفعل ذلك منكم خزيٌ. أما الاستفهام فأفاد التهويل والتعجب من شدة ما يلقونه من الجزاء والخزي نظير ما اقترفوه ؛ فالاستفهام يجعل النفس تذهب كل مذهب في تصور هذا الخزي والجزاء الذي ينتظرهم .

٢- قوله تعالى حكاية اليهود : ﴿وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾[٣] .

أُختلف في (ما) والمراد منها في قوله : ﴿وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ[٤]....﴾على وجهين :

---

(١) اختاره النحاس في إعراب القرآن ، تحقيق د/ زهير غازي زاهد، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م : ٢٤٥/١، ومكي في مشكل إعراب القرآن : ١٠٤/١، والباقولي في كشف المشكلات وإيضاح المعضلات، حققه وعلق عليه وصنع فهارسه د/ محمد أحمد الدالي ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م :٦٩/١ ، وابن الأنباري في البيان : ١٠٥/١، وانظر إملاء ما منّ به الرحمن : ٤٩/١ ، الفريد في إعراب القرآن : ٣١٨/١ ، الدر المصون : ٤٨٥/١ . .

(٢) البيان في غريب إعراب القرآن : ١٠٥/١ .

(٣) سورة البقرة ، من الآية (١٠٢) .

(٤) الكلام عن الملَكين وحقيقتهما ، وهل هما رجلان ؟ استنادًا إلى قراءة الكسر (الملِكين)، كثر الحديث عنه وطال ؛ فليرجع إليه في كتب التفاسير .

الأول : أنها اسم موصول بمعنى (الذي) . واختُلف في إعرابه ؛ فقيل : إنه في موضع نصب عطفًا على (السِّحر)[١]، " أي : ويُعلِّمونهم ما أنزل على الملكين"[٢] . واختُلف في المعنى ؛ يقول أبو حيان : " وظاهر العطف التغاير؛ فلا يكون ما أنزل على الملكين سحرًا "[٣] ، وفصَّل ابن عطية ذلك بقوله : " (ما) عطْفٌ على (السحر) ؛ فهي مفعولة ، وهذا على القول بأن الله تعالى أنزل السحر على الملكين فتنة للناس ؛ ليكفر من اتبعه ، ويؤمن من تركه . أو على قول مجاهد وغيره : إن الله تعالى أنزل على الملكين الشيءَ الذي يفرِّق به بين المرء وزوجه دون السحر، أو على القول : إنه تعالى أنزل السحر عليهما ليُعلَّم على جهة التحذير منه ، والنهي عنه "[٤] .

وقيل إنه في موضع نصب بالعطف على (ما) في قوله تعالى : ﴿**وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ الشَّيَاطِينُ**﴾[٥] ، أي : واتبعوا ما أُنزل على الملكين دون تحديد لما أُنزل على الملكين ؛ لكن يبدو من سياق الآيات أنه أمر ليس بطيب ، سواء أكان السحر أم

---

(١) اختاره الطبري في تفسيره ، تحقيق د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي ، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر د/ عبد السند حسن يمامة ، هجر للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م : ٣١٩/٢ ، والزمخشري في الكشاف ، رتبه وضبطه وصححه / مصطفى حسن أحمد ، دار الريان للتراث ، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م :١٧٢/١ ، ومكي في مشكل إعراب القرآن :١٠٦/١، وابن عطية في المحرر الوجيز، تحقيق وتعليق/ الرحالة الفاروق، وآخرين، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، قطر، الطبعة الثانية ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م : ٢٩٩/١ ، وأبو حيان في البحر المحيط : ٤٧٣/١، وانظر البيان في غريب إعراب القرآن :١١٤/١، الفريد في إعراب القرآن : ٣٤٦/١ .

(٢) الكشاف : ١٧٢/١ .

(٣) البحر المحيط : ١ / ٤٧٣ ، وانظر تفسير البيضاوي ، إعداد وتقديم / محمد عبد الرحمن المرعشلي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د.ت: ٩٧/١ .

(٤) المحرر الوجيز : ٢ / ٢٩٩ ، وانظر تفسير الطبري : ٣١٩/٢ .

(٥) انظر الكشاف : ١٧٢/١ ، مشكل إعراب القرآن :١٠٦/١ ، البيان في غريب إعراب القرآن : ١١٤/١ ، المحرر الوجيز : ٣٠٠/١ ، البحر المحيط : ٤٧٣/١ .

غيره؛ إذ إن من يتبع ما تتلو الشياطين ليس من المعقول أن يتبع معه شيئًا طيبًا، ويقوي ذلك أيضًا سياق الآيات الذي جاء في معرض الحديث عن اليهود وذمهم لمخالفتهم أمر الله ؛ إذ نبذوا كتابه واتبعوا ما تتلو الشياطين .

وقيل إنه في موضع جر بالعطف على ﴿عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾[١] ، " أي : وعلى عهد الذي أُنزل على الملكين "[٢]، على معنى أن (على) بمعنى (في)[٣] . وقال أبو حيان : " والمعنى : افتراءً على ملك سليمان، وافتراءً على ما أنزل على الملكين "[٤]، على معنى أن (تتلو) مضمن معنى " تتقول"[٥]. وعلى كون (ما) موصولة فإن (هاروت وماروت) عطف بيان للملكين .

الثاني : أنها حرف نفي لا محل له من الإعراب عطفًا على ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾[٦] ، أيْ : وما أنزل على الملكين ؛ " أيْ : السحر ؛ وذلك أن اليهود قالوا : إن الله أنزل جبريل وميكائيل بالسحر ، فنفى الله ذلك "[٧].

واختُلف في التقدير فذهب الطبري وتبعه القرطبي ، إلى أن في الكلام تقديمًا وتأخيرًا ، والتقدير: "واتبعوا الذي تتلو الشياطين على ملك سليمان من السحر، وما كفر سليمان ، ولا أنزل الله السحرَ على الملكين ، ولكن الشياطين كفروا يعلمون

---

(١) انظر إملاء ما من به الرحمن : ٥٥/١ ، البيان في غريب إعراب القرآن : ١ / ١١٤ ، الفريد في إعراب القرآن : ١ / ٣٤٦ . والمقصود بـ (على ملك سليمان) على عهد ملكه وفي زمانه . انظر معاني القرآن للزجاج : ١٨٣/١ ، الكشاف : ١٧٢/١ .

(٢) إملاء ما من به الرحمن : ٥٥/١ .

(٣) انظر تفسير الطبري : ٣٢١/٢ .

(٤) البحر المحيط : ١/ ٤٧٣ .

(٥) انظر الدر المصون : ٢٨/٢ .

(٦) انظر مشكل إعراب القرآن :١٠٦/١ ، كشف المشكلات : ٨٣/١ ، البيان في غريب إعراب القرآن : ١١٤/١، المحرر الوجيز : ٣٠٠/١، الفريد في إعراب القرآن: ٣٤٦/١.

(٧) المحرر الوجيز : ١ / ٣٠٠ .

الناس السحر ببابل هاروت وماروت "[١]، ويكون (هاروت ، وماروت) عند الطبري بدل بعض من (الناس) ، وأنهما ليس بملكين ، وإنما هما رجلان تعلمهم الشياطينُ السحرَ[٢] ، أما القرطبي فذكر أنهما بدل من (الشياطين)[٣]. وقيل إن الكلام على أصله، و(ما أنزل على الملكين) اعتراض[٤]، و(هاروت وماروت) بدل أيضًا على التفصيل السابق[٥].

وذكر السمين الحلبي أن المعنى " وما أنزل على الملكين إباحة السحر"[٦]، وهو بذلك موافق المعنى الأول ؛ فلم يجعل الملكين (جبريل وميكائيل) ، ولم ينفِ نزول السحر عليهما ، لكنه نفى أن يكونا قد أباحا للناس تعلم السحر أو إتيانه ؛ فإنهما بيَّنا للناس أنهما فتنة ، وأن السحر كفر ، يدل على ذلك قوله تعالى :﴿ **وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ** ﴾.

وكلا الوجهين – كون (ما) موصولة أو نافية – مرويٌّ عن ابن عباس أوردهما الطبري؛ إلا أنه رجح كون(ما) موصولة بمعنى (الذي) ، وأفسد معنى غيره[٧]، وإلى ذلك أشار ابن الأنباري بقوله: " وهذا الوجه[أيْ النفي] ضعيف جدًا؛ لأنه خلاف الظاهر والمعنى ؛ فكان غيره أولى"[٨] ؛ فالظاهر يدل على أن

---

(١)تفسير الطبري : ٣٣١/٢ ، وانظر تفسير القرطبي : ٢٨٢/٢ .

(٢) انظر تفسير الطبري : ٢ / ٣٣٢ .

(٣) انظر تفسير القرطبي : ٢٨٢/٢ .

(٤) انظر المحرر الوجيز: ٣٠٠/١ ، تفسير البيضاوي : ٩٨/١ .

(٥) ذهب ابن عطية والبيضاوي إلى أنهما بدل من (الشياطين) ، المحرر الوجيز: ٣٠٠/١ ، تفسير البيضاوي : ٩٨/١ . وذكر ابن عطية أنهما بدل من (الناس) ، المحرر الوجيز : ٣٠١/١ .

(٦) الدر المصون : ٣١/٢ .

(٧) انظر تفسير الطبري : ٢ /٣٣٧ .

(٨) البيان في غريب إعراب القرآن : ١١٤/١ .

الملكين أنزل عليهما السحر كما سبق ، والقول بالنفي يخالف ذلك[١]، كما أن التقدير مع (ما) الموصولة لا يحتاج التقديم والتأخير الذي أشرنا إليه مع (ما) النافية .

أما القرطبي فلم يذكر إلا وجه النفي ، وعقب عليه بقوله : " هذا أوْلى ما حُملت عليه الآية من التأويل ، وأصح ما قيل فيها ، ولا يُلتفتُ إلى سواه "[٢] .

ووجه النفي كما رأينا له وجهاته واعتباره في نفي إنزال السحر على على جبريل وميكائيل عليهما السلام ؛ إلا أنه يعيبه ما في الكلام من تقديم وتأخير، على ما قدَّره الطبري والقرطبي كما مرَّ ؛ لذا أرى رأي مَن قال إن الكلام على أصله و(وما أنزل على الملكين) اعتراض بين الجملتين ، قُصد به تنزيه أمين الوحي ومَلَك الصور من إنزال السحر عليهما أو تعليمه الناس كما زعمت اليهود .

وهكذا فإن الوجهين لا تعارض بينهما ؛ بل يكمل كلٌّ منهما الآخر ، ويقدمان تصورًا للمعنى القرآني لا يفهم من أحدهما دون الآخر .

٣ – قوله تعالى : ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾[٣].

أُختلف في (ما) والمراد منها في قوله: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ ...﴾ على ثلاثة أوجه :

الأول : أنها اسم موصول بمعنى (الذي)[٤] ، واختُلف في إعرابها ؛ فقيل: هي في موضع نصب عطفًا على (مَن في السماوات) ، وعائدها محذوف ،

(١) راجع تفسير الطبري : ١ / ٣١٩ .

(٢) تفسير القرطبي : ٢٨٢/٢ .

(٣) سورة يونس ، من الآية (٦٦) .

(٤) انظر الكشاف : ٣٥٧/٢ ، البيان في غريب إعراب القرآن :٤١٦/١ ، البحر المحيط ٢٢٩/٥: ، الفريد في إعراب القرآن :٤٠١/٣ .

و(شركاء) منصوب بـ(يدعون)، وعائد (الذين) الواو في (يدعون)[١] ، أو (شركاء) منصوبة على الحال من الضمير المحذوف في (يدعونهم)[٢]. والمعنى " ألَا إن لله مَن في السماوات مِن الملائكة، ومَن في الأرض مِن الثقلين ، والذي يتبعه الذين يدعون من دون الله شركاء، بمعنى : وله شركاؤهم كالمذكورين يفعل بهم ما يشاء"[٣]. أو على " أن لله الأصنام الذين يدعونهم من دون الله شركاء"[٤]. وعلى هذا الوجه كما نرى لا يجوز الوقف على (من في الأرض)؛ لأن ما بعدها معطوف ؛ ويكون كل ما في الكون داخلا في سلطان الله تعالى حتى آلهتهم التي اتخذوها من دون الله .

وذكر أبو حيان أنه يجوز أن تكون (ما) " في موضع رفع على الابتداء ، والخبر محذوف تقديره : والذي يتبعه المشركون باطلٌ"[٥] ، أو الخبر قوله : "(إن يتبعون)، والعائد محذوف ، أي: في عبادته أو اتباعه "[٦] ، أي : عبادتهم أو اتباعهم الظن. وهذا الوجه أيضًا له دلالته ؛ فهو نتيجة وتأكيد لما قبله ؛ فإنه إذا كان لله من في السماوات ومن في الأرض فإنه من البدهي والمسلم به أن يكون ما عداه من الآلهة والشركاء باطلًا ، لا قدر لهم ؛ لأنهم لا يملكون موتًا ولا حياة ولا نشورًا. وعلى هذا الوجه فإنه يجوز الوقف على (من في الأرض)، والابتداء بـ(وما يتبع) .

---

(١) انظر الفريد في إعراب القرآن : ٣ /٤٠١ .

(٢) انظر كشف المشكلات : ١/ ٥٤٧ .

(٣) الفريد في إعراب القرآن : ٣ / ٤٠١ .

(٤) كشف المشكلات :٥٤٧/١ ، وانظر البيان في غريب إعراب القرآن : ٤١٦/١ .

(٥) البحر المحيط : ٢٢٩/٥ .

(٦) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي ، شهاب الدين الخفاجي ، ضبطه وخرج آياته وأحاديثه الشيخ / عبد الرزاق المهدي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ – ١٩٩٧م: ٧٩/٥ .

الثاني : أنها اسم استفهام في موضع نصب بـ(يتبع) ، و(شركاء) منصوب بـ(يدعون)[١] . والمعنى " وأيَّ شيء يتبع ....، على تحقير المتبع، كأنه قيل : من يدعو شريكًا مع الله لا يتبع شيئًا"[٢]. ولهذا الوجه كما نرى دلالته على الإنكار والتوبيخ ، وتحقير هؤلاء الشركاء، و"توقيف نظر المخاطب" على حد تعبير ابن عطية[٣]؛ فأين هذه الآلهة والشركاء من الله الذي له من في السماوات ومن في الأرض ؟!. وكذلك هنا أيضًا يحسن الوقف على (ومن في الأرض) ، والابتداء بـ(ما يتبع) .

الثالث : أنها حرف نفي لا محل له من الإعراب ، وهو ما رجحه أبو حيان[٤]. واختُلف في توجيه المعنى على وجهين : ١ – قيل : " انتصب (شركاء) بـ(يدعون) "[٥]، "ومفعول (يتبع) محذوف، دلَّ عليه قوله :" (إن يتبعون إلا الظن) ... والتقدير : وما يتبع الذين يدعون شركاء من دون الله علمًا ويقينًا ، بل يتبعون ظنهم "[٦] . " ولا ينصب الـ(شركاء) بـ(يتبع) ؛ لأنك تنفي عنهم ذلك ، والله قد أخبر به عنهم "[٧] .

وذهب أبو حيان إلى أن " (شركاء) مفعول (يتبع) ، ومفعول (يدعون) محذوف لفهم المعنى ، تقديره: آلهة أو شركاء ، أي : إن الذين جعلوهم آلهة

---

(١) انظر مشكل إعراب القرآن : ٣٤٩/١ ، البيان في غريب إعراب القرآن : ٤١٦/١ ، المحرر الوجيز :٥٠٠/٤ ، البحر المحيط : ٥ /٢٢٩ .

(٢) البحر المحيط : ٥ /٢٢٩ ، وانظر البيان في غريب إعراب القرآن : ٢ /٤١٦.

(٣) انظر المحرر الوجيز : ٥٠٠/٤ .

(٤) البحر المحيط :٢٢٩/٥ ، وانظر أيضًا مشكل إعراب القرآن :٣٤٨/١ ، البيان في غريب إعراب القرآن :٤١٦/١ ، الفريد في إعراب القرآن : ٤٠١/٣ .

(٥) مشكل إعراب القرآن : ٣٤٩/١ ، وانظر كشف المشكلات : ١/ ٥٤٧ .

(٦) الفريد في إعراب القرآن : ٤٠١/٣ .

(٧) مشكل إعراب القرآن : ٣٤٩/١ .

وأشركوهم مع الله في الربوبية ليسوا شركاء حقيقة ... ، وإن كانوا قد أطلقوا عليهم اسم الشركاء "[1] ؛ لأنه يتعارض مع العقل ؛ " لأن شركة الله في الربوبية محال ، ما يتبعون إلا ظنهم أنها شركاء "[2] .

وصحح ابن عطية هذا الوجه – أي : كونُ (ما) نافية ، وحذْفُ مفعول(يدعون) – ثم قال : "وفي هذا الوجه عندي تكلف "[3] ، ولعله يقصد بالتكلف هنا ما أشرنا إليه آنفًا مما يُفهم من نصب (شركاء) بـ(يتبع) . وأخالفه في هذا الرأي؛ وذلك لأنه :

١-من ناحية المعنى لم ينفِ عنهم أنهم اتخذوا شركاء ، بل نفى أن يكون ما عبدوهم من دون الله شركاء حقيقة .

٢-من ناحية التوجيه؛ فكلا الوجهين السابقين يحتاج إلى تقدير مفعول محذوف لأحد الفعلين (يدعون–يتبع) ، وكما رأينا فإن تقدير المفعول لأحد الفعلين لا يتعارض مع نقل أو عقل ، كما أنه يعطي معنى لا يناقض الآخر ؛ بل إن كليهما يكمل بعضه الآخر ، ويثري النص القرآني .

وعلى أية حال فإن تقدير (ما) نافية يحسن معه الوقف على (من في الأرض) ، والابتداء بـ(وما يتبع) ؛ على أنها نتيجة لما قبلها ؛ فإذا كان الله له من في السماوات ومن في الأرض فيُنفى عمن سواه الشَّرِكة أو الألوهية .

وهكذا نجد أن هذه الأوجه جميعها تتكامل في تكوين المعنى ؛ فالاسم الموصول أثبت أن كل ما في الكون داخل في سلطانه تعالى بما ذلك آلهتم التي يزعمونها ، ثم جاء الاستفهام محقرًا لهذه الآلهة ؛ ثم جاء النفي ليؤكد ذلك ، وينفي عنهم صفة الألوهية والشركة مع الله وإنْ أطلق عليهم ذلك ظنًا وبهتانًا ، لا يقينًا .

---

(١) البحر المحيط : ٢٢٩/٥ .

(٢) الفريد في إعراب القرآن :٣/ ٤٠٢ .

(٣) المحرر الوجيز : ٥٠١/٤ .

ولا يخفى أيضًا ما للنبر والتنغيم من دور واضح في بيان تلك المعاني، وإيصالها للمتلقي .

٤– قوله تعالى : ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِبًا أُوْلَـئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الأَشْهَادُ هَـؤُلاء الَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى رَبِّهِمْ أَلاَ لَعْنَةُ اللّهِ عَلَى الظَّالمِينَ (١٨) الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (١٩) أُولَـئِكَ لَمْ يَكُونُواْ مُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ اللّهِ مِنْ أَوْلِيَاء يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُواْ يُبْصِرُونَ﴾[١]

أُختلف في (ما) والمراد منها في قوله : ﴿مَا كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ . . .﴾على ثلاثة أوجه :

الأول : أنها حرف نفي لا محل له من الإعراب ، والضمير في (كانوا) يعود على (الظالمين) ، والجملة استئنافية[٢]، والمعنى إنهم "من شدة كفرهم وعداوتهم للنبي لا يستطيعون أن يسمعوا ما يقول "[٣]من القرآن، "ولا ينظرون إليه لبغضهم فيه"[٤]، " وهذا معروف في كلام العرب يقال: فلان لا يستطيع أن ينظر إلى فلان؛ إذا كان ذلك ثقيلًا عليه "[٥]. وذهب الفراء إلى أن المعنى " أيْ : أضلهم

---

(١) سورة هود ، الآيات (١٨ : ٢٠) .

(٢) اختاره الزجاج في معاني القرآن، شرح وتحقيق د / عبد الجليل عبده شلبي ، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ– ١٩٨٨م : ٤٥/٣، والزمخشري في الكشاف: ٣٨٦/٢، وانظر معاني القرآن للفراء، تحقيق الأستاذين : محمد علي النجار، أحمد يوسف نجاتي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ– ١٩٨٣ م : ٨/٢، إعراب القرآن للنحاس : ٢٧٦/٢، إملاء ما من به الرحمن :٣٦/٢ ، المحرر الوجيز: ٥٥٧/٤ .

(٣) معاني القرآن للزجاج : ٤٥/٣ .

(٤) البحر المحيط : ٢٧٦/٥ .

(٥) إعراب القرآن للنحاس : ٢٧٧/٢ . وقيل : إن عدم الإبصار " أنهم كانوا يتعامَون عن آيات الله المبسوطة في الأنفس والآفاق " روح المعاني : ٤٠٥/١١ بدليل أنه لم ينفِ عنهم استطاعة الإبصار؛ فقد كانوا يبصرون آيات الله الكونية دون الاستدلال بها على وحدانيته.

الله عن ذلك في اللوح المحفوظ "[1]، أيْ " أن الله ختم عليهم بذلك؛ فلا يسمعون سماعًا ينتفعون به، ولا يبصرون كذلك "[2]؛ يدل عليه ما جاء في أكثر من موضع في القرآن كقوله تعالى: ﴿خَتَمَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عظِيمٌ﴾[3]، وقوله :﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا ﴾[4].

وأجاز الزمخشري أن يعود الضمير على (الأولياء) ، وقوله :﴿ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ﴾اعتراض للوعيد ، والمعنى " أنهم جعلوا آلهتهم أولياء من دون الله ، وولايتهم ليست بشيء ، فما كان لهم في الحقيقة من أولياء ، ثم بين نفي كونهم أولياء بقوله :﴿مَا كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُواْ يُبْصِرُون﴾، فكيف يصلحون للولاية "[5] . واعترض الشهاب الخفاجي على هذا الرأي ؛ " لمخالفته السياق ، واستلزامه تفكيك الضمائر "[6].

الثاني : أنها حرف مصدري ، واختُلف في تأويل المصدر على وجهين :

---

(١) معاني القرآن : ٨/٢ ، وذكره مكي في مشكل إعراب القرآن : ٣٥٧/١ .

(٢) المحرر الوجيز : ٥٥٧/٤ .

(٣) سورة البقرة ، الآية (٧) .

(٤) سورة الأعراف ، من الآية (١٧٩) .

(٥) الكشاف : ٣٨٦/٢ .

(٦) حاشية الشهاب : ١٤٧/٥ .

الأول : إنه ظرف زمان ، كون (ما) مصدرية ظرفية[١] والمعنى " أن العذاب يضاعف لهم مدة استطاعتهم السمع والبصر"[٢]، أي "أبدًا"[٣]، قال القرطبي : " والله سبحانه يجعلهم في جهنم مستطيعي ذلك أبدًا "[٤] .

الثاني : إنه منصوب على حذف حرف الجر[٥] ، أيْ " يضاعف لهم العذاب بما كانوا يستطيعون السمع ولا يفعلون "[٦] ، أو :" بسبب كون استطاعتهم السمع"[٧] " كما تقول : جزيته ما فعل ، وبما فعل "[٨] . ولم يرتضِ ابن عطية هذا التأويل ، وقال : " فيه تحامل"[٩] ، وتبعه أبو حيان بقوله : "وفيه بُعدٌ في اللفظ والمعنى"[١٠] . وأرى أنه ليس فيه تحامل أو بُعدٌ في المعنى ؛ فقد ربط الله تعالى عذاب الكفار بما اقترفوه من ذنوب في غير موضع من القرآن ، من ذلك قوله

---

(١) اختاره مكي في المشكل :٣٥٧/١ ، وانظر العكبري في إملائه :٣٦/٢ ، ابن عطية في المحرر :٥٥٨/٤ ، أبو حيان في البحر المحيط : ٢٧٧/٥ .

(٢) المحرر الوجيز : ٥٥٨/٤ .

(٣) مشكل إعراب القرآن : ٣٥٧/١ .

(٤) تفسير القرطبي ، تحقيق د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي وآخرِين ، مؤسسة الرسالة، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦ م : ٩٣/١١ .

(٥) اختاره الفراء في معاني القرآن :٨/٢ ، النحاس في إعراب القرآن : ٢٧٦/٢ ، وذكره مكي في المشكل : ٣٥٧،١ ، ابن عطية في المحرر : ٥٥٨/٤ .

(٦) معاني القرآن للفراء : ٨/٢ .

(٧) الفريد في إعراب القرآن : ٤٥٢/٣ .

(٨) إعراب القرآن للنحاس : ٢٧٦/٢ .

(٩) المحرر الوجيز : ٥٥٨/٤ .

(١٠) البحر المحيط : ٢٧٧/٥ .

قوله تعالى :﴿وَلَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾[1] ، وكذلك فإنه لا تعارض في اللفظ ؛ فإن حذف الجر أمر شائع تناولته كتب النحاة[2].

الثالث : أنها اسم موصول بمعنى (الذي) في محل نصب على حذف حرف الجرّ، والعائد محذوف[3]، أي : بالذي كانوا يستطيعونه من السمع ولا ينتفعون به. وهو قريب من الوجه الثاني في كون (ما) مصدرية .

وتلك الأوجه جميعها لا تعارض بينها ، وإنَّ كلًّا منها يضيف إلى المعنى دلالة جديدة؛ غير أني أميل إلى كون (ما) نافية والضمير في (كانوا) يعود على (الظالمين)، وكونها مصدرية ظرفية ؛ وهذا لأمرين : أولهما معنوي، وهو أنه الأقرب إلى ظاهر المعنى، وأن المحال عليه (الظالمين) هم من يدور الحوار عنهم. وثانيهما لفظي؛ إذ إن الوجهين الآخرين يحتاجان إلى تقدير حرف الجر المحذوف ليستقيم المعنى .

كما أنه بالنظر إلى تلك الأوجه نجد أنه يجوز الوقف على (العذاب) وقفًا تامًا ، والبدء بـ(ما) حال كونها نافية ، أما على الوجهين الآخرين فلا يجوز نظرًا لتعلق (ما) بالفعل (يضاعف) .

٥- قوله تعالى حكاية عن إخوة يوسف عليه السلام : ﴿فَلَمَّا اسْتَيْأَسُواْ مِنْهُ خَلَصُواْ نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُواْ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ اللّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ﴾ [4] .

---

(١) سورة البقرة ، من الآية (١٠) ، وانظر معاني القرآن للفراء : ٨/٢ .

(٢) انظر على سبيل المثال كتاب سيبويه : ٣٧/١ ، ٣٨ ، النكت في شرح كتاب سيبويه ، الأعلم الشنتمري ، دراسة وتحقيق الأستاذ / رشيد بلحبيب ، وزارة الأوقاف المغربية والشئون الإسلامية ، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م : ٢٥٣/١ ، الجمل في النحو ، أبو القاسم الزجاجي ، حققه وقدم له د / علي توفيق الحمد ، مؤسسة الرسالة ، دار الأمل ، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م : صـ ٢٨ .

(٣) بدأ به العكبري الوجوه الجائزة في (ما)، انظر إملاء ما منّ به الرحمن : ٣٦/٢.

(٤) سورة يوسف ، من الآية (٨٠) .

أُختلف في (ما) والمراد منها في قوله : ﴿وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ﴾على ثلاثة أوجه :

الأول : أنها حرف زائد لا محل له من الإعراب جاء للتأكيد وتحيسن اللفظ[١]، وهو اختيار أبي جعفر النحاس[٢] ، وعدَّه الزجاج" أجود الأوجه "[٣] ، واستُدل عليه بزياة (ما) في قوله تعالى:﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ﴾[٤]، و﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾[٥]. و"من قبل " متعلق بـ(فرطتم) ، " تقديره: وفرطتم من قبل في يوسف"[٦]، والجملة حالية[٧] ، أيْ : ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقًا من الله مفرطين من قبل في يوسف .

الثاني : أنها حرف مصدري ، واختُلف في إعراب محل المصدر المؤول (تفريطكم)على وجهين :

---

(١) الزيادة هنا زيادة لفظية لا معنوية ، فلكل حرف في القرآن الكريم دلالته ، وقد جعلها الإمام الزركشي من أساليب القرآن وفنونه البليغة ، انظر البرهان في علوم القرآن ، الزركشي ، تحقيق الأستاذ / محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار التراث ، الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م: ٧٠/٣ ، كما تحدث عن زيادة (ما) : ٧٦/٣ .

(٢) انظر إعراب القرآن للنحاس : ٣٤٠/٢ ، وأيضًا : معاني القرآن للفراء :٥٣/٢ ، مشكل إعراب القرآن :٣٩٣/١ ، الكشاف : ٤٩٤/٢ ، البيان في غريب إعراب القرآن:٢/ ٤٣، المحرر الوجيز : ١٣٠/٥ .

(٣) معاني القرآن : ١٢٤/٣، وتبعه في ذلك أبو حيان ، انظر البحر المحيط:٤٣٣/٥ ، والسمين الحلبي في الدر المصون : ٥٣٩/٦ ، والآلوسي في روح المعاني:٤٤٩/١٢ .

(٤) كشف المشكلات : ٦١٣/١ ، سورة النساء ، من الآية (١٥٥) .

(٥) انظر البيان في غريب إعراب القرآن : ٤٣/٢ . سورة آل عمران ، من الآية (١٥٩) .

(٦) مشكل إعراب القرآن : ٣٩٣/١ ، وانظر الفريد في إعراب القرآن : ٦٢٢/٣ .

(٧) روح المعاني : ٤٤٩/١٢ . ويفهم من كلام مكي أنه جعل الواو عاطفة ، واعتُرض عليه بالفصل بين حرف العطف والمعطوف ، وسيأتي الرد على هذا الاعتراض في الوجه الثاني لـ (ما) . انظر مشكل إعراب القرآن : ٣٩٣/١ . وكونها حالية هو الأقرب إلى المعنى .

الأول : أنه مرفوع على الابتداء[١] ، والمعنى : "ومن قبل هذا تفريطكم في يوسف "[٢]. واختلف في الخبر ؛ فقيل إنه الظرف (من قبل) ، و(في يوسف) متعلق بـ(فرطتم) ؛ " فيكون المعنى : ومن قبلُ تفريطكم في يوسف ، أي وقع تفريطكم في يوسف "[٣] ، واعتُرض على هذا بأنه لا يجوز وقوع (قبل) خبرًا إذا قطع عن الإضافة[٤]؛ لأنه لا يفيد ، فلا يقال:جاء الذي قبل ، ولا : مررت برجل قبل[٥]، وذهب أبو علي الفارسي إلى أن الخبر (في يوسف)[٦]، وردّ أبو حيان هذا الوجه أيضًا بقوله :" والظاهر أن (في يوسف) معمول لقوله : (فرطتم)، لا أنه في موضع الخبر"[٧] ، دون أن يذكر ما الخبر الصحيح للمبتدأ. وأرى ما رآه صاحب الدر المصون من أن الخبر قوله :"من قبل" بالرغم من قطعه عن الإضافة ؛

(١) اختاره الفراء في معاني القرآن : ٥٣/٢ ، وانظر معاني القرآن للزجاج : ١٢٥/٣ ، إعراب القرآن للنحاس : ٣٤٠/٢ ، الكشاف : ٤٩٤/٢، إملاء ما منّ به الرحمن : ٥٧/٢، المحرر الوجيز : ١٣٠/٥ .

(٢) معاني القرآن للفراء :٥٣/٢ ، وانظر معاني القرآن للزجاج : ١٢٥/٣ .

(٣) معاني القرآن للزجاج : ١٢٤/٣ ، وإليه ذهب النحاس في إعرابه : ٣٤٠/٢ ، والزمخشري في الكشاف : ٤٩٥/٢ ، وابن عطية في المحرر : ١٣٠/٥ ، ونسبه أبو حيان في البحر المحيط للزمخشري على أنه صاحب الرأي : ٤٣٢/٥ ؛ وربما كان هذا لأن الزمخشري صرح به ، ولم يكتفِ بالإشارة كمن سبقوه .

(٤) انظر كشف المشكلات : ٦١٢/١ ، وقال مكي : " وفيه نظر" مشكل إعراب القرآن : ٣٩٣/١ ، وضعّفه العكبري في إملائه : ٥٧/٢ ، ولم يجزه أبو حيان في البحر : ٤٣٢/٥، وقال المنتجب الهمذاني : " وليس بالمتين " إعراب القرآن: ٦٢٢/٣. قال سيبويه: " ويدلك على أن قبل وبعد غير متمكنين أنه لا يكون فيهما مفردين ما يكون فيهما مضافين ، لا تقول : قبلُ وأنت تريد أن تبني عليها كلامًا ، ولا تقول : هذا قبلُ ، كما تقول : هذا قبل العتَمَة "الكتاب : ٢٨٦/٣ .

(٥) انظر الدر المصون : ٥٤٠/٦ .

(٦) انظر المحرر الوجيز : ١٣٠/٥، البحر المحيط : ٤٣٢/٥ ، وإليه ذهب الباقولي في كشف المشكلات : ٦١٢/١، والعكبري في إملائه : ٥٧/٢ ، والمنتجب الهمذاني في إعراب القرآن : ٦٢٣/٣ .

(٧) البحر المحيط : ٤٣٢/٥ ، وانظر الدر المصون : ٥٤٠/٦ .

إذ العلة في ذلك الجهل بالمضاف إليه ؛ فإذا أمن اللبس وعلم المضاف إليه من السياق والمقام جاز الإخبار به[١] .

الثاني : أنه منصوب ، وفيه وجهان : إما عطفًا على مفعول (تعلموا) ، والتقدير : " ألم تعلموا أَخْذَ أبيكم عليكم موثقًا وتفريطَكم من قبل في يوسف "[٢]، وإما عطفًا على اسم (أنّ)[٣] ، تقديره " ألم تعلموا أن أباكم وأن تفريطَكم كان في يوسف من قبل "[٤]. واعتُرض على القول بالعطف بأنَّ فيه فصلًا بين حرف العطف والمعطوف بالجار والمجرور (من قبل)[٥]، وأخالف هذا الاعتراض أخذًا برأي المجيزين إثراءً للمعنى القرآني[٦].

---

(١) انظر الدر المصون : ٥٤٠/٦ .

(٢) الكشاف : ٤٩٥/٢ ، وانظر معاني القرآن للفراء :٥٣/٢ ، معاني القرآن للزجاج : ١٢٥/٣، إعراب القرآن للنحاس : ٣٤١/٢ ، مشكل إعراب القرآن : ٣٩٣/١ ، المحرر الوجيز : ١٣٠/٥ .

(٣) اختاره الباقولي في كشف المشكلات : ٦١٢/١ . وأظنه أول من قال به ، ثم نقله من جاءوا بعده ، انظر إملاء ما من به الرحمن : ٥٧/٢ ، البيان: ٤٣/٢ .

(٤) كشف المشكلات : ٦١٢/١ .

(٥) انظر مشكل إعراب القرآن : ٣٩٣/١ ، إملاء ما من به الرحمن: ٥٧/٢ ، البحر المحيط : ٤٣٢/٥ .

(٦) المنع هو مذهب أبي علي الفارسي ؛ حيث منع الفصل بين العاطف والمعطوف إلا في الضرورة، وأن يكون الفاصل شبه الجملة . انظر المسائل العسكرية، أبو علي الفارسي، تحقيق ودراسة د / محمد الشاطر أحمد محمد ، مطبعة المدني، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ – ١٩٨٢م: صـ ١٦٤ وما بعدها . بينما أجازه آخرون مطلقًا ، مستدلين بالقرآن والشعر، منهم العكبري في إملائه : ١٨٤/١، ١٣/٢، ٥٧ ، والزمخشري في الكشاف : ٤٩٥/٢ ، وأجازه ابن مالك بشرط أن يكون المعطوف اسمًا مرفوعًا أو منصوبًا ، أو مجرورًا بشرط إعادة حرف الجر، وألا يكون المعطوف فعلًا ، فلا يقال : قام زيد وفي الدار قعد . انظر التسهيل ، ابن مالك ، حققه وقدم له الأستاذ / محمد كامل بركات ، دار الكتاب العربي ، ١٣٨٧هـ– ١٩٦٧م : صـ ١٧٨ ، شرح التسهيل لابن مالك : ٢٤٠/٣ ، المساعد ، =

وتأويل (ما) وما بعدها بالمصدر بشكل عام يوحي بعظم الجريمة التي اقترفوها من تفريطهم في أخيهم ؛ ثم صيغ ذلك من خلال ثلاثة معانٍ : الأول : الابتداء ؛ فكان تخصيصها بالابتداء فيه إشعار بمدى الحزن والأسى، أو التشنيع والاستنكار لما فعلوه في حق أبيهم وأخيهم. والثاني: العطف على معمول (تعلموا) تذكيرًا لهم بجريمتهم ، واستنكارًا لما أتوا به ، والثالث: العطف على اسم (إنّ) تأكيدًا لما اقترفوه من الإثم.

الثالث : أنها اسم موصول بمعني (الذي)[1] ، واختُلف في موضعه من الإعراب ، إما الرفع على الابتداء ، وإما النصب عطفًا ، كما مرّ في الوجهين السابقين في (ما) المصدرية ، والمعنى " ومن قبل هذا ما فرطتموه ، أي : قدمتموه في حق يوسف من الجناية العظيمة "[2]. واعتُرض على وجه العطف بما مرّ آنفًا.

٦- قوله تعالى :﴿**اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ**﴾[3].

اُختلف في (ما) والمراد منها على ثلاثة أوجه :

= ابن عقيل ، تحقيق وتعليق د / محمد كامل بركات، مركز البحث العلمي وإحياء التراث، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، جامعة الملك عبد العزيز، ١٤٠٠هـ -١٩٨٠م : ٤٧٨/٢. بينما اشترط آخرون ألا يكون العاطف على حرف واحد، منهم ابن عصفور في المقرب، تحقيق : أحمد عبد الستار الجواري ، وعبد الله الجبوري، الطبعة الأولى ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م : ٢٣٤/١، أبو حيان في التذييل والتكميل، تحقيق د/ حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ -١٩٩٨م، وما بعدها. دار كنوز إشبيليا، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م : ٢١١/١٣ .

(١) انظر الكشاف : ٤٩٥/٢ ، الفريد في إعراب القرآن : ٦٢٢/٣ .

(٢) الكشاف : ٤٩٥/٢ .

(٣) سورة الرعد ، الآية (٨) .

الأول : أنها اسم موصول بمعنى (الذي) ، في موضع نصب بـ(يعلم) ، والعائد عليه محذوف ، أيْ : تحمله[١] . والمعنى " أنه يعلم ما تحمله من الولد علي أيِّ حال هو ، من ذكورة وأنوثة ، وتمام وخِداج ، وحسن وقبح ، وطول وقصر، وغير ذلك من الأحوال الحاضرة والمرتقبة "[٢] ؛ فهي على ذلك دالة على العموم والشمول .

الثاني : أنها اسم استفهام[٣]، و(يعلم) معلقة بهذا الاستفهام . واختلف في إعرابها على هذا الوجه ؛ فقيل : في موضع رفع بالابتداء ، وتحمل خبره ، وتقدر (ها) محذوفة ، والجملة في موضع نصب بـ(يعلم)[٤] ، وعلق (مكي) على هذا الرأي بقوله : " وفيه بعد لحذف الهاء من الخبر ، وأكثر ما يكون في الشعر"[٥] ، ولم يستحسنه ابن الأنباري[٦] ، كما ضعفه (ابن عطية)[٧] ، للسبب نفسه، وأجازه أبو حيان[٨] .

---

(١) اختاره ابن الأنباري في البيان : ٤٩/٢ ، وانظر الكشاف :٥١٥/٢، مشكل إعراب القرآن: ٣٩٧/١ ، المحرر الوجيز :١٨٠/٥، البحر المحيط :٤٧٣/٥، الفريد في إعراب القرآن المجيد : ٦٥٥/٣ .

(٢) الكشاف : ٢ / ٥١٥ .

(٣) انظر مشكل إعراب القرآن :٣٩٧/١،البيان في غريب إعراب القرآن : ٤٩/٢ ، المحرر الوجيز :١٨٠/٥، البحر المحيط :٤٧٣/٥، الفريد في إعراب القرآن: ٦٥٥/٣.

(٤) انظر مشكل إعراب القرآن : ٢ / ٣٩٧ ، البحر المحيط : ٤٧٣/٥ .

(٥) مشكل إعراب القرآن : ١ / ٣٩٧ . وهو مذهب البصريين ؛ فلم يجيزوا حذف الضمير المنصوب العائد على المبتدأ من جملة الخبر إلا في الشعر ، وأجازه الكوفيون على خلاف بينهم ؛ فمنهم من أجازه مطلقًا ، ومنهم من أجازه إذا كان المبتدأ دالًا على العموم كأسماء الاستفهام ، ولفظ (كل) ، وغيره ، وإليه ذهب ابن مالك . انظر هذه المسألة بشيء من التفصيل ، التذييل والتكميل : ٤٢/٤ ، وما بعدها .

(٦) البيان في غريب إعراب القرآن : ٤٩/٢ .

(٧) انظر المحرر الوجيز : ٥ / ١٨٠ .

(٨) انظر البحر المحيط : ٤٧٣/٥ .

وقيل : إن (ما) في موضع نصب بـ(تحمل)، وهو ما رجحه (مكي)، والجملة في محل نصب بـ(يعلم)[١] ، وجعله السمين الحلبي " أَوْلى ؛ لأنه لا يُحوج إلى حذف عائد "[٢] .

والمعنى على الاستفهام فيه دلالة أيضًا على علم الله الواسع ، مع ما في الاستفهام من إثارة الذهن ؛ فعلى الابتداء يكون المعنى : الله يعلم إجابة سؤالكم: أيُّ شيء تحمله كل أنثى ؟ ، وعلى النصب : أذكرًا أو أنثى تحمل كل أنثى ؟ لا يخفى عليه شيء من ذلك .

الثالث: أنها حرف مصدري لا محل له من الإعراب ، والمصدر منصوب بـ(يعلم)[٣]؛ والمعنى: "أنه يعلم حملَ كلِّ أنثى، ويعلم غيض الأرحام وازديادها، لا يخفى عليه شيء من ذلك ومن أوقاته وأحواله"[٤]؛ " فيكون (تغيض)، و(تزداد) لازمان ، وسماع تعديتهما ولزومهما ثابت في كلام العرب "[٥]. وهو أيضًا دال على العموم والشمول .

وهكذا نجد أن الأوجه جميعها – وإن اختلفت في أسلوبها – نحت منحًى واحدًا ، وهو بيان مدى علم الله الواسع؛ فقد أحاط بكل شيء علمًا.

٧– قوله تعالى مخاطبًا النبي ﷺ : ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾[٦].

أُختلف في (ما) والمراد منها على وجهين :

---

(١) مشكل إعراب القرآن : ١ / ٣٩٧ ، وانظر إملاء ما من به الرحمن : ٦٢/٢ ، البيان في غريب إعراب القرآن : ٤٩/٢ ، الفريد في إعراب القرآن : ٣ / ٦٥٥ .

(٢) الدر المصون : ٢٢/٧ .

(٣) انظر الكشاف : ٥١٥/٢ ، المحرر الوجيز : ١٨٠/٥ ، البحر المحيط : ٤٧٣/٥ ، الفريد في إعراب القرآن المجيد : ٣ / ٦٥٥ .

(٤) الكشاف : ٥١٥/٢ ، وانظر الفريد في إعراب القرآن المجيد : ٣ / ٦٥٥ .

(٥) البحر المحيط : ٤٧٣/٥ .

(٦) سورة الحجر ، الآية (٩٤) .

الأول : أنها حرف مصدري، والمصدر المؤول في محل جرّ اسم مجرور[١]، والمعنى : فاصدع بالأمر. قال الفراء : " أراد فاصدع بالأمر... ألا ترى أنك تقول: ما أحسن ما تنطلق ؛ لأنك تريد انطلاقك ، وما أحسن ما تأمر، إذا أمرت؛ لأنك تريد ما أحسن أمرك. ومثله قوله : ﴿ **يَاأَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ..** ﴾[٢] كأنه قيل له : افعل الأمر الذي تؤمر "[٣] .

الثاني : أنها اسم موصول بمعنى (الذي) في محل جر اسم مجرور ، والعائد عليه محذوف ، والتقدير : تؤمره ، والأصل : تؤمر به ، حُذف حرف الجر فتعدى الفعل بنفسه[٤] . وحذْفُ حرفِ الجر (الباء) كثير؛ " لأن العرب تقول: إني لآمرك وآمر بك، وأكفرك وأكفر بك "[٥]، ومنه قوله تعالى :﴿**أَلا إِنَّ عَادًا كَفَرُواْ رَبَّهُمْ**﴾[٦]، أي : كفروا بربهم . وقول الشاعر :

أَمَرْتُكَ الخَيْرَ فَافْعَلْ مَا أُمِرْتَ بِهِ[٧]

---

(١) اختاره الفراء في معاني القرآن : ٩٣/٢ ، العكبري في إملائه: ٧٧/٢، وانظر الكشاف: ٥٩١/٢، كشف المشكلات: ٦٧٤/٢ ، البيان في غريب إعراب القرآن: ٧٣/٢ ، ونسبه النحاس في إعرابه إلى البصريين : ٣٩٠/٢ .

(٢) سورة الصافات ، من الآية (١٠٢) .

(٣) معاني القرآن : ٩٣/٢ .

(٤) اختاره الزجاج في معانيه : ١٨٦/٣ ، الزمخشري في الكشاف : ٥٩٠/٢ ، ابن عطية في المحرر : ٣٢١/٥ ، أبو حيان في البحر المحيط : ٦٠١/٥ ، ونسبه النحاس في إعرابه إلى الكسائي : ٣٩٠/٢ ، وانظر معاني القرآن للفراء : ٢/ ٥٩ ، إملاء ما منَّ به الرحمن :٧٧/٢ ، البيان في غريب إعراب القرآن : ٧٢/٢ .

(٥) معاني القرآن للفراء : ٥٩/٢ .

(٦) سورة هود ، من الآية (٦٠) .

(٧) صدر بيت من البسيط لعمرو بن معد يكرب ، وعجزه :
فَقَدْ تَرَكْتُكَ ذَا مَالٍ ، وَذَا نَشَبِ
ديوانه ، جمعه ونسقه : مطاع الطرابيشي ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م : ص ٦٣ ، وانظر الكتاب :٣٧/١ ، النكت للأعلم الشنتمري : ٢٥٢/١ ، الجمل للزجاجي : ص ٢٨ .

ونسب أبو جعفر النحاس حذف حرف الجر (الباء) إلى الكوفيين ، وقال : " لا يجوز حذف (الباء) عند البصريين في كلام ولا شعر"[١] ، والصواب أنه جائز بدليل ما أوردناه من شواهد ، وهو ما يفهم من كلام سيبويه[٢] .

ونسب أبو حيان إلى الأخفش أن التقدير " فاصدع بما تؤمر بصدعه ؛ فحذف المضاف ثم الجار ثم الضمير"[٣] .

وأميل إلى كون (ما) مصدرية ؛ لما في صرف المعنى إلى المصدر الصريح من القوة والتعظيم ؛ فالأمر المقصود هنا هو أمر الدعوة إلى الله وتوحيده ، وترك ما دونه من الآلهة التي اتخذها الكفار شركاء مع الله .

٨ – قوله تعالى حكاية عن أصحاب الكهف: ﴿ وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴾[٤] .

اُختلف في (ما) والمراد منها في قوله: ﴿ وَمَا يَعْبُدُونَ ﴾ على ثلاثة أوجه:

الأول : أنها اسم موصول بمعنى(الذي)، في محل نصب عطفًا على ضمير الغائب المتصل في (اعتزلتموهم) ، والعائد على الموصول محذوف[٥] . وعلى هذا الوجه فالكلام على لسان أصحاب الكهف ، والمعنى وإذ اعتزلتموهم والذي يعبدونه من الآلهة. و(إلا الله) " يجوز أن يكون استثناءً متصلا على ما رُوي أنهم كانوا

---

(١) إعراب القرآن للنحاس : ٣٩٠/٢ .

(٢) انظر الكتاب : ٣٧/١ ، ٣٨ ، وانظر أيضًا النكت للأعلم : ٢٥٣/١ ، الجمل للزجاجي : ص ٢٨ ، وشرح الجمل لابن عصفور ؛ حيث ذكر جملة من الأفعال التي سُمع فيها حذف حرف الجر من مفعولها ، منها الفعل (أمر) : ٢٧٩/١ .

(٣) البحر المحيط : ٦٠١/٥ ، وانظر معاني الحروف للرماني ، ص : ٦٠ .

(٤) سورة الكهف ، الآية (١٦) .

(٥) اختاره الفراء في معاني القرآن : ١٣٦/٢ ، والنحاس في إعراب القرآن :٤٥٠/٢ ، والزجاج في معاني القرآن: ٢٧٢/٣، والزمخشري في الكشاف: ٧٠٧/٢ ، والباقولي في كشف المشكلات : ٧٤٦/٢ ، وابن عطية في المحرر الوجيز : ٥٧٧/٥ ، وانظر البيان في غريب إعراب القرآن : ١٠٢/٢ ، البحر المحيط : ١٣٣/٦

كانوا يقرون بالخالق ويشركون معه كما أهل مكة ، وأن يكون منقطعًا "[١] " إن كانوا لا يعرفون الله ، ولا يعبدونه لعدم اندراجه في معبوداتهم "[٢] .

الثاني : أنها حرف مصدري ، لا محل له من الإعراب [٣]، والمصدر المؤول في محل نصب عطفًا على ضمير الغائب المتصل في (اعتزلتموهم) ، والكلام أيضًا على لسان أصحاب الكهف. والمعنى "وإذ اعتزلتموهم وعبادتَهم إلا عبادةَ اللهِ. فحذف المضاف، وكان الاستثناء من الجنس "[٤]، أو كان الاستثاء منقطعًا إن كانوا لا يعرفون عبادة الله[٥]، كما مرّ في الوجه السابق .

الثالث : أنها حرف نفي لا محل له من الإعراب[٦] ، على أنه " كلام معترض ، إخبار من الله تعالى عن الفتية أنهم لم يعبدوا غير الله "[٧] على جهة المدح. والاستثناء مفرغ[٨] ، والواو واو الحال ، والجملة في محل نصب حال ، أي : وإذ اعتزلتموهم غيرَ عابدين إلا الله[٩] .

وما من شك في أن الأوجه الثلاثة يكمل بعضها بعضًا ، وتقدم تصورًا محمودًا لأصحاب الكهف ؛ هؤلاء الفتية الذين آمنوا بربهم وزدناهم هدًى ؛ فجاء المعنى مع (ما) الموصولة معلنًا توحيدهم الله –عز وجل– وألا معبود سواه ، ثم

---

(١) الكشاف : ٢ / ٧٠٧ .

(٢) البحر المحيط : ٦ / ١٣٣ . وإلى المعنى الأخير ذهب الباقولي فقال : " والمعنى : وإذ اعتزلتم الكفار والأصنام التي يعبدونها من دون الله " كشف المشكلات: ٧٤٦/٢ .

(٣) انظر البيان في غريب إعراب القرآن : ٢ / ١٠٢، الفريد في إعراب القرآن : ٢٤٩/٤، الدر المصون : ٤٥٤ .

(٤) البيان في غريب إعراب القرآن : ٢ / ١٠٢ .

(٥) انظر الفريد في إعراب القرآن : ٢٤٩/٤ .

(٦) انظر الكشاف : ٧٠٧/٢ ، البيان في غريب إعراب القرآن :١٠٢/٢ ، البحر المحيط : ٦/ ١٣٣ ، الفريد في إعراب القرآن : ٢٤٩/٤.

(٧) الكشاف : ٧٠٧/٢ .

(٨) انظر البحر المحيط : ٦ / ١٣٣ ، الفريد في إعراب القرآن : ٢٤٩/٤ .

(٩) انظر البيان في غريب إعراب القرآن : ٢ / ١٠٢ .

جاء المعنى مع (ما) المصدرية مؤكدًا ذلك بكون العبادة الحقة إنما هي عبادة الله الواحد ، أما (ما) الثالثة ، وهي النافية فجاءت مادحة هؤلاء الفتية على لسان المولى جل وعلا ، وشهادته لهم بأنهم لم يعبدوا سواه .

٩ – قوله تعالى مخاطبًا موسى عليه السلام : ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾[١] .

أُختلف في (ما) والمراد منها في قوله :﴿إِنَّمَا صَنَعُوا﴾على ثلاثة أوجه :

الأول : أنها اسم موصول بمعنى الذي ، في محل نصب اسم (إنَّ)[٢] ، أيْ: إن الذي صنعوه كيدُ ساحر، والعائد على الاسم الموصول محذوف ، وعلى هذا الوجه يكون (كيدُ) خبر (إنَّ) مرفوعًا[٣] .

الثاني : أنها حرف مصدري ، والتقدير : صُنعهم ، والمصدر في محل نصب اسم (إنَّ) ، و(كيدُ) خبر (إنَّ) مرفوع[٤] .

الثالث: أنها حرف زائد ، كافة(إنَّ) عن العمل ، مهيئة لها للدخول على الفعل ، لا محل لها من الإعراب[٥] ، ويكون (كيدَ) منصوب بـ(صنعوا)[٦].

---

(١) سورة طه ، الآية (٦٩) .

(٢) اختاره الباقولي في كشف المشكلات: ٨٣٨/٢ ، وانظر معاني للفراء: ١٨٦/٢ ، إعراب القرآن للنحاس : ٣/ ٤٩، معاني القرآن للزجاج : ٣٦٧/٣ ، مشكل إعراب القرآن : ٤٦٩/٢، الكشاف: ٣/ ٧٥ ، البيان في غريب إعراب القرآن : ١٤٨/٢، المحرر الوجيز : ٦/ ١١٠ ، البحر المحيط : ٣٢١/٦ .

(٣) الرفع قراءة الجمهور ، انظر معجم القراءات : ٤ / ٩٤ .

(٤) إملاء ما منّ به الرحمن : ١٢٤/٢ .

(٥) انظر معاني القرآن للفراء :١٨٦/٢ ، إعراب القرآن للنحاس :٣/ ٤٩ ، معاني القرآن للزجاج :٣ /٣٦٧ ، مشكل إعراب القرآن : ٤٦٩ ، الكشاف :٣/ ٧٥ ، البيان في غريب إعراب القرآن : ١٤٨/٢، المحرر الوجيز: ٦/ ١١٠، البحر المحيط : ٣٢١/٦ .

(٦) قرأ بالنصب : مجاهد ، وحميد ، وزيد بن علي ، معجم القراءات : ٤ / ٩٤ .

وما من شك في أن اسمية (ما) أو حرفيتها قد أفاد المعنى ؛ فعلى كونها اسمًا موصولًا أو حرفًا مصدريًّا فقد جاءت الجملة مؤكَّدة بـ(إنَّ) تبين أن ما جاء به سحرة فرعون إنما هو سحر وخداع للبصر ؛ فتُقوي من عزيمة موسى – عليه السلام – الذي أوجس في نفسه خِيفة أمام سحرة فرعون الذين سحروا أعين الناس واسترهبوهم ، وجاءوا بسحر عظيم .

أما على حرفيتها وكونها زائدة ، كافة (إنَّ) عن عملها فإنها تفيد معنى التحقير ، وهي كـ" قولك لمن يدعي النحو : إنما قرأتَ الجمل"[١] ، على معنى تثبيت موسى عليه السلام حين أمره الله بإلقاء عصاه في مواجهة سحر هؤلاء السحرة؛ فما هو إلا سحر حقير يقف عاجزًا أمام معجزة الله الحقيقية .

١٠- قوله تعالى على لسان سحرة فرعون:﴿قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾[٢] .

اُختلف في (ما) في قوله :﴿فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ﴾على وجهين :

الأول : أنها اسم موصول بمعنى (الذي) في محل نصب مفعول به ، والعائد محذوف ، والتقدير : الذي أنت قاضيه[٣] ، " وجاز حذف العائد وإن كان مجرورًا لأنه في محل نصب[٤] . والمعنى يشعر أنهم غير عابئين بما سيُقْدم عليه فرعون من عذابهم ؛ فقد تمكن الإيمان من قلوبهم ؛ فما يقضيه إنما هو أمر دنيوي قصير الأجل ؛ أما الحياة الآخرة فهي الباقية .

---

(١) الأشباه والنظائر ، جلال الدين السيوطي ، تحقيق د/ عبد العال سالم مكرم ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ – ١٩٨٥م : ٣/ ٢٦٠ .

(٢) سورة طه ، الآية (٧٢) .

(٣) رجحه السمين الحلبي في الدر المصون : ٧٨/٨ ، وانظر إملاء ما منّ به الرحمن : ١٢٤/٢ ، الفريد في إعراب القرآن : ٤٣٦/٤ ، البحر المحيط : ٣٢٤/٦ .

(٤) انظر الدر المصون : ٧٨/٨ .

الثاني : أنها مصدرية ظرفية، والتقدير: "اقض أمرك مدة ما أنت قاضٍ"(١)، وهذا دليل أيضًا على عدم اكتراثهم بما سيقضي به فرعون؛ فإن قضاءه – مهما طال– مدته قصيرة ، وهو منتهٍ إما بانتهاء عمره ، وإما بانتهاء هذه الحياة الدنيا ؛ وكلا الأجلين قصير. فالوجهان كما نرى متكاملان .

وذكر أبو حيان أن بعضهم رفض كونها مصدرية ؛ لأن المصدرية توصل بالأفعال لا بالأسماء، ثم استطرد أبو حيان قائلًا : " وهذا ليس مجمعًا عليه ؛ بل ذهب ذاهبون من النحاة إلى أن المصدرية توصل بالجملة الاسمية "(٢).

وأميل إثراءً للدلالة القرآنية إلى الأخذ برأي المجيزين؛ فلهم من الشواهد ما يؤيدهم(٣).

١١ – قوله تعالى : ﴿**أَفَرَأَيْتَ إِن مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ (٢٠٥) ثُمَّ جَاءهُم مَّا كَانُوا يُوعَدُونَ (٢٠٦) مَا أَغْنَى عَنْهُم مَّا كَانُوا يُمَتَّعُونَ**﴾(٤).

اُختلف في (ما) والمراد منها في قوله : ﴿**مَا أَغْنَى عَنْهُم**﴾ على وجهين :

الأول : أنها حرف نفي لا محل له من الإعراب ، والمفعول به محذوف(٥)، والتقدير : "ما أغنى عنهم شيئًا "(٦)، وجعله أبو حيان ما عليه ظاهر المفسرين(٧).

---

(١) إملاء ما من به الرحمن : ١٢٤/٢ ، وانظر الفريد في إعراب القرآن : ٤٣٦/٤ ، البحر المحيط : ٣٢٤/٦ ، الدر المصون : ٧٨/٨ .

(٢) البحر المحيط : ٣٢٤/٦ ، وانظر رصف المباني صـ : ٣٨٠، وذهب الشهاب في حاشيته إلى أنه ممتنع أو نادر : ٦/ ٣٧٤ .

(٣) منعه سيبويه ، الكتاب : ٣٥٠/٢ ، ١٠٢/٣، ونقل جوازه أبو علي الشلوبين في شرح الجزولية : ٦٠٠/٢ ، وأجازه ابن مالك في التسهيل : صـ ٣٨ ، شرح التسهيل : ٢٢١/١ ، شرح الكافية الشافية : ١٣٠/١. ونُسب هذا الرأي إلى الأعلم ، انظر التذييل لأبي حيان : ١٥٤/٣ ، شرح التسهيل لناظر الجيش :٧٦١/٢ ، وذُكر الخلاف عن ابن عصفور في المصدرين السابقين .

(٤) سورة الشعراء ، الآيات (٢٠٥ : ٢٠٧) .

(٥) انظر إعراب القرآن للنحاس : ١٩٣/٣ ، وانظر إملاء ما منّ به الرحمن : ١٧٠/٢ ، البيان في غريب إعراب القرآن :٢ /٢١٧ ، البحر المحيط : ٥٧/٧ .

(٦) إملاء ما من به الرحمن : ١٧٠/٢ .

(٧) انظر البحر المحيط : ٥٧/٧ .

وفي هذا الوجه – كما نرى– تقريرُ تأكيدِ عدمِ إغناء ما كانوا فيه من النعيم في الدنيا عنهم شيئًا يوم القيامة .

الثاني : أنها اسم استفهام في موضع نصب بـ(أغنى)[١] " أيْ : أيَّ شيء أغنى عنهم تمتعهم في تلك السنين التي مُتِّعوها ؟ ، وفي الكلام محذوف يتضمن الضمير العائد على المفعول الأول ، أيْ : أيَّ شيء أغنى عنهم تمتعهم حين حلَّ بهم ، أيْ: الموعود به ، وهو العذاب "[٢] ، والاستفهام – كما نرى– جاء في سياق النفي والإنكار، أو الاستهزاء والتوبيخ لهؤلاء المعاندين الذين تخيلوا في لحظة ما أنَّ ما هم فيه من السلطان والنعيم والقوة في الدنيا سوف يغني عنهم من عذاب الله شيئًا يوم القيامة؛ وعليه فمعنى (ما) على الاستفهام يؤكد معناها على النفي[٣].

١٢– قوله تعالى : ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاء كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ(٤١)إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[٤] .

اُختلف في (ما) والمراد منها في قوله : ﴿مَا يَدْعُونَ﴾على أربعة أوجه :

الأول : أنها اسم موصول في موضع نصب مفعول به للفعل (يعلم) ، والعائد عليه محذوف[١] ، والتقدير : " إن الله يعلم الذين يدعون من دونه من

---

(١) اختاره النحاس في إعراب القرآن : ١٩٣/٣ ، وجعله الآلوسي "الأَوْلى" روح المعاني : ٢٨٩/١٩ ، وانظر البيان في غريب إعراب القرآن : ٢١٧/٢ ، إملاء ما منّ به الرحمن: ١٧٠/٢ ، البحر المحيط : ٥٦/٧.

(٢) البحر المحيط : ٧ / ٥٦.

(٣) جعل الآلوسي الاستفهام " أَوْلى لكونه أوفق لصورة الاستخبار، وأدل على انتفاء الإغناء على أبلغ وجه وآكده " روح المعاني : ٢٨٩/١٩.

(٤) سورة العنكبوت ، الآيتان (٤١ ، ٤٢) .

جميع الأشياء أن حالهم هذه ، وأنهم أمْرٌ لا قدْر له "[٢] ، والمعنى " إن الله يعلم ضعف ما يعبدون من دونه "[٣]، أو "ما يدعون من شيء فالله يعلمه وهو العزيز الحكيم قادر على إعدامه وإهلاكهم ، لكنه حكيم يمهلهم ليكون الهلاك عن بينة والحياة عن بينة "[٤]. وعلى هذا ففي الآية وعيد لهم؛ فهو عليم بأعمالهم واتخاذهم آلهة من دونه ، وسوف يجازيهم على ذلك . و" (مِن) هنا للتبعيض ، ولو كانت زائدة لانقلب المعنى "[٥]؛ فتكون (ما) نافية. وقيل : (من) بيان لـ(ما)[٦] .

الثاني : أنها حرف نفي لا محل له من الإعراب ، و(من) زائدة في المفعول به (شيئًا) للتوكيد[٧] ، والتقدير: لستم تدعون شيئًا له بال ولا قدْر؛ فيصلح أن يسمى شيئًا "[٨] . وعلى ذلك الوجه فإن الجملة معترضة بين قوله: " إن الله يعلم" وقوله : "وهو العزيز الحكيم "، على إطلاق علم الله تعالى، وحذْف المفعول به اقتصارًا[٩] ، أو أن الله يعلم ضعف آلهتهم التي تشبه في ضعفها بيت العنكبوت؛

---

(١) اختاره النحاس في إعراب القرآن : ٢٥٧/٣. وانظر البيان في غريب إعراب القرآن : ٢٤٥/٢، المحرر الوجيز : ٦٤٧/٦، البحر المحيط : ١٩٦/٧ ، الفريد في إعراب القرآن : ١٧٢/٥ ، الدر المصون : ٢٣/٩ .

(٢) المحرر الوجيز : ٦٤٧/٦ .

(٣) تفسير القرطبي : ٣٦٥/١٦ .

(٤) تفسير الفخر الرازي ، بدون محقق ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ – ١٩٨١م : ٧/٢٥ .

(٥) إعراب القرآن للنحاس : ٢٥٧/٣ ، وانظر المحرر الوجيز : ٦٤٧/٦ .

(٦) انظر تفسير البيضاوي : ١٩٥/٤ .

(٧) هو ظاهر قول الزمخشري ، انظر الكشاف : ٤٥٥/٣ ، وإليه ذهب الفخر الرازي في تفسيره : ٧٠/٢٥ ، وانظر إملاء ما من به الرحمن :١٨٣/٢ ، المحرر الوجيز : ٦٤٧/٦، البحر المحيط : ١٩٦/٧ ، الدر المصون :٢٣/٩ ، اللباب في علوم القرآن : ٣٥٧/١٥.

(٨) المحرر الوجيز : ٦٤٧/٦ .

(٩) هو أحد الأساليب العربية الفصيحة التي شاع استخدامها في القرآن ؛ فتُلزم الفعل المتعدي؛ فيحذف المفعول به اقتصارًا دون نية تقديره ، من باب العموم والشمول أو التعظيم، من ذلك قولهم : " (فلان يحُلُّ ويعقِد ، ويأمرُ وينهَى ، ويضر وينفع) . وكقولهم : (هو يعطي ويُجزل ، ويَقري ويُضيف) " دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني : ص ١٥٤ .

ثم عطف عليه" وهو العزيز الحكيم "[١]. قال الزمخشري : "وهذا توكيد للمَثَل وزيادة عليه[٢] ؛ حيث لم يجعل ما يدعونه شيئًا ..... ؛ حيث عبدوا ما ليس بشيء؛ لأنه جماد ليس معه مصحح العلم والقدرة أصلًا، وتركوا عبادة القادر القاهر على كل شيء، الحكيم الذي لا يفعل شيئًا إلا بحكمة وتدبير"[٣]، و" فيه تحقير لأصنامهم بجعلها كالعدم؛ لأنها خلو عن جميع الصفات اللائقة بالإلهية. فهي في بابها كالعدم؛ فلما شابهت المعدومات في انتفاء الفائدة المزعومة لها ... ضرَبَ لها مثلاً ببيت العنكبوت ، ولعبدتها مثلاً بالعنكبوت الذي اتخذها، وعلى هذا الوجه فالكلام صريح في إبطال إلهية الأصنام وفي أنها كالعدم "[٤]. وذكر الفخر الرازي أن (يعلم) معلق بـ(ما) النافية ، قال :" (العلم) يتعلق بالجملة كما يقول القائل : إني أعلم أن الله واحد حق ، يعني أعلم هذه الجملة "[٥]؛ فتكون الجملة في محل نصب بـ(يعلم). واعتُرض على تعليق (يعلم) ، فقال ابن عطية : "وفيه نظر"[٦] ، وقال المنتجب الهمذاني : "وهو من التعسف عند من قد تأمل "[٧]. ولعل ما دفعهما إلى ذلك أنْ " يتوهم السامع أن المراد نفيُ أن يكونوا قد دعَوا أولياء من دون الله ؛ لأن سياق الكلام سابقه ولاحقه يأباه ، وهذا

---

(١) انظر المحرر الوجيز : ٦٤٧/٦ ، الدر المصون : ٢٣/٩ ، البحر المحيط : ٧/ ١٩٦ .

(٢) ذهب أبو حيان إلى أنها زيادة على المثل . و يقصد بـ (المثل) : المثل الذي ضربه الله في الآية السابقة ؛ إذ جعل الآلهة والشركاء من الضعف كبيت العنكبوت ، ثم جاء هذا الاعتراض زيادة للتوكيد .

(٣) الكشاف : ٤٥٥/٣ ، وانظر تفسير الفخر الرازي : ٧٠/٢٥ ، البحر المحيط : ١٩٦/٧ ، اللباب في علوم القرآن : ٣٥٧/١٥ .

(٤) تفسير التحرير والتنوير ، محمد الطاهر بن عاشور ، الدار التونسية للنشر ، ١٩٨٤م : ٢٥٤/٢٠ .

(٥) تفسير الفخر الرازي : ٧٠/٢٥ .

(٦) المحرر الوجيز : ٦٤٧/٦ .

(٧) الفريد في إعراب القرآن : ١٧٣/٥ .

كقوله تعالى : ﴿لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَىَ شَيْءٍ﴾[1] ، و﴿لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ﴾[2]، وكقول النبي –ﷺ– لما سُئل عن الكهان: إنهم ليسوا بشيء ، أي ليسوا بشيء فيما يدعونه من معرفة الغيب "[3] .

الثالث : أنها اسم استفهام في موضع نصب ، وهي هنا أيضًا تفيد التبعيض أو التبيين، وحينئذ يجوز في (ما) وجهان :

أ – أن تكون منصوبة بـ(يدعون)[4] ، وهو قول الخليل وسيبويه[5] ، والجملة اعتراضية كما في الوجه السابق ، والتقدير : " أيَّ شيء تدعون من دونه "[6] ، " كأنه قرر – على جهة التوبيخ – على هذا المعبود من جميع الأشياء ، ما هو إذ لم يكن الله تعالى؟! ؛ أيْ : ليس لهم – على هذا التقدير – مقنع إليه "[7] .

ب – أن تكون منصوبة بـ(يدعون) ، معلِّقة لـ(يعلم)، والجملة في موضع نصب بها ، وهو مذهب أبي علي الفارسي ، يقول : " (ما) استفهام ، موضعه نصب بـ(تدعون) ، ولا يجوز أن يكون منصوبًا بـ(يعلم) ، ولكن صار الجملة التي هي منها في موضع نصب بـ(يعلم) ، والتقدير : إن الله يعلم : أوَثنًا تدعون من دونه أو غيره ؟ ، أي : لا يخفى ذلك عليه ؛ فيؤاخذكم على كفركم ويعاقبكم

---

(١) سورة البقرة ، من الآية (١١٣) .

(٢) سورة المائدة ، من الآية (٦٨) .

(٣) التحرير والتنوير : ٢٥٤/٢٠ .

(٤) اختاره العكبري في إملائه : ١٨٣/٢، وانظر البيان في غريب إعراب القرآن: ٢٤٥/٢، المحرر الوجيز : ٦٤٧/٦ ، البحر المحيط : ٧/ ١٩٦ ، الدر المصون : ٢٣/٩ .

(٥) انظر كشف المشكلات : ٢/ ١٠٣٩ ، البيان في غريب إعراب القرآن : ٢٤٥/٢.

(٦) انظر كشف المشكلات : ٢/ ١٠٣٩ ، البيان في غريب إعراب القرآن : ٢٤٥/٢.

(٧) المحرر الوجيز : ٦٤٧/٦ ، وانظر البحر المحيط : ١٩٦/٧ .

عليه"[١]؛ " ففيه تعريض بأن المشركين لا يعلمون جواب سؤال السائل (ما تدعون من دون الله؟) ، أي قد علم الله ذلك ، ومن علمه بذلك أنه ضرب لهم المثل بالعنكبوت اتخذت بيتاً ، وللمعبودات مثلاً ببيت العنكبوت ، وأنتم لو سئلتم : ما تدعون من دون الله ، لتلعثمتم ولم تحيروا جواباً؛ فإن شأن العقائد الباطلة والأفهام السقيمة أن لا يستطيع صاحبها بيانها بالقول وشرحها ؛ لأنها لما كانت تتألف من تصديقات غير متلائمة لا يستطيع صاحبها تقريرها ، فلا يلبث قليلاً حتى يفتضح فاسد معتقده من تعذر إفصاحه عنه" [٢] ، والجملة على ذلك تأكيد للمثل[٣].

الرابع : أنها حرف مصدري ، يقول أبو البقاء العكبري: " ويجوز أن تكون مصدرية ، و(شيء) مصدر"[٤]، وعليه يكون المصدر منصوبًا بـ(يعلم) ، و(مِن) بيانية والتقدير :" يعرف دعوتكم من دونه هي دعوةٌ حقيرة "[٥]، ويجوز أن تكون للتبعيض ، والتقدير" يعرف دعاءكم بعض شيء من دونه"[٦] ، على سبيل التهكم والتحقير لما يعبدون .

وهكذا نجد أن مجيء (ما) –على اختلاف معناها – تالية للمثل الذي ضربه الله أفاد أحد أمرين : الأول : تأكيد المثل بنفي الشيئية عما اتخذوه من دون الله

---

(١) الحجة، أبو علي الفارسي، تحقيق / عادل أحمد عبد الموجود وآخرَين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م : ١٤٢/٤، وإليه ذهب المنتجب الهمذاني في إعراب القرآن : ١٧٢/٥ ، والآلوسي في روح المعاني : ٣٦٣/٢٠ .

(٢) التحبير والتنوير : ٢٥٤/٢٠ .

(٣) انظر البحر المحيط : ١٩٦/٧ .

(٤) إملاء ما منّ به الرحمن : ٢/ ١٨٣ . أي تأويل (ما يدعون) بـ (دعوتكم) ، و(شيء) بمصدر بمعناه ، أي (دعوة) ، انظر حاشية الشهاب : ٣٥٤/٧ .

(٥) روح المعاني : ٣٦٤/٢٠ ، وانظر حاشية الشهاب : ٣٥٤/٧ .

(٦) حاشية الشهاب : ٣٥٤/٧ ، وانظر الدر المصون : ٢٣/٩ ، اللباب في علوم القرآن : ١٥ /٣٥٧ .

آلهة ، أو الاستفهام عنه على سبيل النفي والإنكار ؛ إذ لا غناء له عنهم ؛ فهو كبيت العنكبوت . الثاني : الزيادة على المثل ؛ فالله يعلم اتخاذهم من دونه آلهة حال كونه (هو العزيز الحكيم) ، المستحق وحده للعبادة ؛ فهو وعيد لهم بالعذاب الأليم .

١٣- قوله تعالى مخاطبًا نبيهﷺ: ﴿يس(١)وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ(٢)إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ(٣) عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ(٤)تَنزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ(٥)لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ﴾[١] .

اُختلف في (ما) والمراد منها في قوله :﴿مَا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ﴾على ثلاثة أوجه :

الأول : أنها حرف نفي لا محل له من الإعراب[٢]، أي : لتنذر قومًا لم يُنذَر آباؤهم ؛ " لأن آباءهم لم ينذروا برسول من قبل محمدﷺ "[٣] . واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَمَا آتَيْنَاهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ﴾[٤]، وقوله :﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾[٥]. و"(ما أنذر) في موضع الصفة ، أي : غير منذَر آباؤهم"[٦] . وعلى ذلك فإن قوله تعالى : (فهم غافلون) " متعلق بالنفي ، أي : لم ينذروا فهم غافلون ؛ على أن عدم إنذارهم هو سبب

---

(١) سورة يس ، الآيات (١ : ٦) .

(٢) اختاره الزجاج في معاني القرآن: ٢٧٨/٤ ، وانظر معاني القرآن للفراء:٣٧٢/٢ ، إعراب القرآن للنحاس :٣٨٣/٣ ، مشكل إعراب القرآن :٥٩٩/٢ ، المحرر الوجيز : ٢٣٤/٧ . وهو منسوب إلى قتادة ، انظر تفسير القرطبي : ١٧ / ٤١٢ ، المحرر الوجيز : ٧ / ٢٣٤ ، البحر المحيط : ٧ / ٤٢٨ .

(٣) مشكل إعراب القرآن : ٢ / ٥٩٩ .

(٤) سورة سبأ ، الآية (٤٤) . انظر معاني القرآن للزجاج : ٤ / ٢٧٨ ، المحرر الوجيز : ٧ / ٢٣٤ .

(٥) سورة السجدة ، الآية (٣) . انظر الفريد في إعراب القرآن المجيد : ٥ /٣٣٨.

(٦) البحر المحيط : ٧ / ٤٢٨ .

غفلتهم"[١] ، "و(الفاء) واصلةٌ بين الجملتين ، ورابطةٌ الثانية بالأولى "[٢]. وعلى هذا الوجه يكون المقصود بالآباء ، أنهم الآباء القريبون ؛ وعليه فإن " النذارة المنفية هي نذارة المباشرة ، والأمر والنهي ؛ وإلا فدعوة الله تعالى لم تنقطع من الأرض قط"[٣]؛ وبهذا يكون لله عليهم حجة يوم القيامة .

الثاني : أنها اسم موصول بمعنى (الذي)في موضع نصب[٤] ، إما على نزع الخافض، كما في قوله تعالى:﴿فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً﴾[٥]، أي : بصاعقة[٦]، أو على أنه مفعول ثانٍ لـ(لتنذر)، " أي : لتنذر قومًا ما أُنذر آباؤهم من العذاب، كقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾[٧]"[٨]. وقوله تعالى: (فهم غافلون) على هذا التوجيه " بمعنى فإنهم ، دخلت (الفاء) لقطع الجملة من الجملة الواقعة صلة؛ فتتعلق بقوله : (إنك لمن المرسلين... لتنذر)، كما تقول: أرسلتك إلى فلان لتنذره فإنه غافل ، أو فهو غافل"[٩] ، " والآباء على هذا هم الأقدمون من ولد إسماعي،

---

(١) الكشاف : ٤ / ٤ ، وانظر البحر المحيط : ٧ / ٤٢٨ .

(٢) المحرر الوجيز : ٧ / ٢٣٤ .

(٣) المصدر السابق : ٧ / ٢٣٤ .

(٤) انظر معاني القرآن للفراء :٣٧٢/٢ ، إعراب القرآن للنحاس :٣٨٣/٣ ، مشكل إعراب القرآن :٥٩٩/٢ ، الكشاف : ٤/٤ . نُسب هذا الرأي إلى ابن عباس وعكرمة ، وقتادة أيضًا، انظر تفسير القرطبي : ١٧ / ٤١٢ .

(٥) سورة فصلت ، من الآية (١٣) .

(٦) انظر إعراب القرآن للنحاس : ٣ / ٣٨٣ .

(٧) سورة النبأ ، من الآية (٤٠) .

(٨) الكشاف : ٤ / ٤ ، وانظر المحرر الوجيز : ٢٣٤/٧ ، الفريد في إعراب القرآن : ٣٣٨/٥.

(٩) البحر المحيط : ٤٢٨/٧، وانظر الكشاف :٤/٤ ، المحرر الوجيز : ٢٣٤/٧.

وكانت النذارة فيهم "[1] ، ويؤيده قوله تعالى :﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءهُم مَّا لَمْ يَأْتِ آبَاءهُمُ الأَوَّلِينَ﴾[2]، وعلى هذا فلا تعارض بين هذا الرأي والرأي الأول الذي كان فيه نفي الإنذار عن آبائهم القريبين . وهذا هو السبب الذي جعل الزجاج يعد هذا الوجه بعيدًا ؛ إذ كيف يقع الإنذار لآبائهم ، وهم مع ذلك (هم غافلون)[3] ؛ فكان الجواب بأنهم آباؤهم الأقدمون لا القريبون .

الثالث : أنها حرف مصدري لا محل له من الإعراب[4] ، والمعنى : "لتنذر قومًا إنذارَ آبائهم ، وفي الكلام حذف ، أي : إنذارًا مثل إنذار آبائهم ، كقولك : ضربته ضرب الأمير"[5]؛ فيكون في المصدر معنى التهويل والتخويف من هذا الإنذار . وما قيل في الوجه السابق في معنى قوله تعالى :(فهم غافلون)، وكذلك قوله :(آباؤهم) هو نفسه ما يقال هنا.

وهكذا فإن الأوجه لا تعارض بينها ؛ بل يكمل بعضها بعضًا ، وتقيم الحجة على الكافرين ؛ فإنهم إن عللوا سبب كفرهم وغفلتهم بعدم مجيئهم رسول لينذرهم على الوجه الأول ؛ فإن الوجهين الآخرين يثبتان أن آباءهم الأقدمين أنذروا ولم يستجيبوا ؛ فكان عاقبتهم الدمار والهلاك ، فكان عليكم أن تسيروا في الأرض فتنظروا كيف كان عاقبة المكذبين؛ ففيها دليل على وجوب توحيد الله وطاعته ، وإن حُرّفت الشرائع وبُدلت – والله أعلم– .

١٤ – قوله تعالى حكاية عن جزاء الرجل المؤمن في سورة (يس) : ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَالَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ(٢٦)بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾[6] .

---

(١) البحر المحيط : ٧ / ٤٢٨ .
(٢) سورة المؤمنون ، من الآية (٦٨) .
(٣) معاني القرآن للزجاج : ٤ / ٢٧٨ .
(٤) انظر الكشاف : ٤/٤ ، مشكل إعراب القرآن :٥٩٩/٢ ، المحرر الوجيز:٢٣٤/٧ .
(٥) الفريد في إعراب القرآن : ٣٣٨/٥ .
(٦) سورة يس ، الآيتان (٢٦ ، ٢٧) .

أُختلف في (ما) والمراد منها في قوله : ﴿بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي﴾ على ثلاثة أوجه:

الأول : أنها اسم موصول بمعنى (الذي) في محل جر اسم مجرور، و(غفر لي) صلته ، والعائد محذوف[١] ، والمعنى " بالذي غفره ليمن الذنوب "[٢] ، وعلق أبو حيان على هذا الوجه بقوله : " وليس هذا بجيد ؛ إذ يؤول إلى تمني علمهم بالذنوب لا المغفرة "[٣] . وأخالف أبا حيان فيما ذهب إليه ؛ فلعل التعبير على هذا النحو هو من قبيل قوله تعالى: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيم﴾[٤]؛ بيانًا لمدى فضل الله الواسع عليه؛ وليفتح باب التوبة على مصراعيه أمام قومه ، وأمام قارئ القرآن في كل زمان . كما أرى أن مَنْ يقرأ على هذا المعنى عليه أن يقف على "غفر لي ربي" ، ويبتدئ مستأنفًا بقوله :" وجعلني من المكرمين " على التعظيم لهذا الإكرام . وذكر الطبري أن المعنى " يا ليتهم يعلمون أن السبب الذي من أجله غفر لي ربي ذنوبي ....، كان إيماني بالله وصبري فيه حتى قتلت "[٥] . وذهب الزجاج إلى أن المعنى " ليتهم يعلمون بالعمل الصالح والإيمان الذي غفر لي به ربي "[٦] ، والمعنى هنا كما نرى مصروف إلى بيان السبب في المغفرة وهو الإيمان بالله والعمل . و(جعلني من المكرمين) معطوف على (غفر) . وأرى أن فيه تكلفًا في

---

(١) اختاره الفراء في معاني القرآن : ٣٧٤/٢ ، والزمخشري في الكشاف : ١١/٤، وانظر إعراب القرآن للنحاس :٣٩٠/٣ ، مشكل إعراب القرآن : ٦٠١/٢ ، البيان في غريب إعراب القرآن : ٢٩٣/٢ ، المحرر الوجيز : ٢٤٤/٧ .

(٢) الكشاف : ١١/٤ ، وانظر البيان في غريب إعراب القرآن : ٢٩٣/٢ ، المحرر الوجيز: ٢٤٤/٧ ، البحر المحيط : ٤٣٧/٧ ، الفريد في إعراب القرآن : ٥/ ٣٤٤ .

(٣) البحر المحيط : ٧ / ٤٣٧ . وفيه (بالذنوب المغفرة) ، والصواب ما أثبتناه.

(٤) سورة الزمر ، من الآية (٥٣) .

(٥) تفسير الطبري : ٤٢٤/١٩ .

(٦) معاني القرآن : ٢٨٣/٤ ، وانظر حاشية الشهاب : ١٥/٨ .

التقدير سببه التحرز من الوقوع فيما يوهم به ظاهر المعنى الأول من تمني العلم بالذنوب ؛لكنه مردود بما أشرت إليه آنفًا . ولعله أيضًا بعيد في المعنى ؛ إذ إن فيه معنى المفاخرة بعمله الصالح ، وهو يتناقض مع القول بأن (ما) استفهامية وهو الوجه الثالث كما سيأتي ، كما أن هذا لا يليق بالمؤمن الذي يعتقد يقينًا أن عمله مهما بلغ من الكثرة والقبول لن يكون سببًا في دخوله الجنة ، وإنما يكون ذلك برحمة الله كما أخبرنا بذلك الرسول ﷺ.

الثاني : أنها حرف مصدري لا محل له من الإعراب ، والمصدر المؤول في محل جر اسم مجرور[1]، أي : بغفران أو بمغفرة ربي لي ؛ فهو يتمنى علمهم بغفران الله له تعظيمًا لهذه المغفرة ، و(جعلني من المكرمين) معطوف عليه . ولعل التعبير بالمصدر المؤول من (ما) والفعل الماضي قد أفاد التأكيد ، وتحقق حدوث الفعل.

الثالث : أنها اسم استفهام ، والجار والمجرور متعلق بـ(غفر)[2] ، أيْ: "بأيِّ شيءٍ غفر لي ربي "[3] ، وذلك على " معنى التعجب من مغفرة الله له ....، على التقليل لعمله ، والتعظيم لمغفرة الله له "[4] ، أو " يريد به المهاجرة عن دينهم ،

---

(١) اختاره الزجاج في معاني القرآن : ٢٨٣/٤ ، ومكي في مشكل إعراب القرآن : ٦٠١/٢، والزمخشري في الكشاف : ١١/٤ ، وأبو حيان في البحر المحيط:٤٣٧/٧ ، وانظر معاني القرآن للفراء : ٣٧٤/٢ ، إعراب القرآن للنحاس :٣٩٠/٣ ، إملاء ما منّ به الرحمن : ٢٠٢/٢ ، المحرر الوجيز : ٢٤٣/٧ .

(٢) انظر معاني القرآن للفراء : ٣٧٤/٢ ، إعراب القرآن للنحاس :٣٩٠/٣ ، معاني القرآن للزجاج : ٤ / ٢٨٣ ، مشكل إعراب القرآن : ٦٠١/٢ .

(٣) معاني القرآن للزجاج : ٤ / ٢٨٣ .

(٤) مشكل إعراب القرآن : ٦٠١/٢ ، وانظر البيان في غريب إعراب القرآن : ٢ / ٢٩٣ ، الفريد في إعراب القرآن المجيد: ٣٤٤/٥ .

والمصابرة على أذيتهم حتى قتل "[١] ، ولا يخفى حذفُ مفعول (يعلمون) اقتصارًا أو اختصارًا . وقد ضعَّف بعضهم هذا الوجه[٢] ، وعدَّه مكيٌّ بعيدًا ؛ " لثبات الألف في (ما) ، وحقها أن تحذف في الاستفهام إذا دخل عليها حرف جر نحو ﴿فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾[٣]، ولا يحسن إثبات ألف (ما) في الاستفهام إلا في شعر ؛ فبُعد ذلك "[٤] ، وهو نفسه ما نقله أبو حيان ، وابن هشام عن الكسائي ؛ إذ لو صح الاستفهام لقال : (بم) من غير ألف[٥] ؛ لذلك يعلق المنتجب الهمذاني على هذا الوجه بقوله : " وهذا وجه حسن من جهة المعنى ؛ لكنه ضعيف من جهة إثبات الألف مع (ما) ، والأجود طرحها معها للفرق بين الاستفهام والخبر في حال السعة والاختيار "[٦] .

وقد أجازه الفراء[٧] اعتمادًا على قول الشاعر :

إِنَّا قَتَلْنَا بِقَتْلَانَا سَرَاتَكُمُ ** أَهْلَ اللِّوَاءِ؛ فَفِيْمَا يَكْثُرُ القِيْلُ ؟![٨]

---

(١) روح المعاني : ٣٠٦/٢٢ .

(٢) منهم على سبيل المثال : النحاس في إعراب القرآن : ٣٩٠/٣، ابن الأنباري في البيان: ٢٩٣/٢، ابن عطية في المحرر: ٢٤٤/٧، المنتجب الهمذاني في إعراب القرآن: ٣٤٤/٥.

(٣) سورة الحجر من الآية (٥٤) .

(٤) مشكل إعراب القرآن : ٢ / ٦٠١ . وهو المذهب المشهور عند النحاة ، وأجازوه في الشعر. انظر على سبيل المثال : الكتاب : ١٦٤/٤ ، مغني اللبيب : ٣٢٩/١ ، همع الهوامع : ٤٢٠/٣ .

(٥) انظر البحر المحيط : ٧ / ٤٣٧ ، مغني اللبيب : ٣٢٩/١ .

(٦) الفريد في إعراب القرآن المجيد : ٣٤٤/٥ ، وانظر معاني القرآن للفراء : ٢٩٢/٢ ، أمالي ابن الشجري : ٥٤٥/٢ ، مغني اللبيب : ٣٢٨/١ .

(٧) معاني القرآن : ٢ / ٣٧٥ ، وإليه ذهب ابن الشجري في أماليه :٥٤٥/٢ .

(٨) من البسيط ، ديوان كعب بن مالك، دراسة وتحقيق/ سامي مكي العاني، مكتبة النهضة، بغداد، الطبعة الأولى ١٣٨٦هـ -١٩٦٦م: ص ٢٥٥، وفيه (أن قد)، شرح أبيات المغني : ٢٢٣/٥، وبدون نسبة في أمالي ابن الشجري : ٥٤٧/٢، مغني اللبيب : ٣٢٨/١ .

وكذلك الزجاج ، وإن كان الحذف في رأيه أجود يقول : " ويجوز أن يكون (بما) في هذا المعنى بإثبات الألف ، تقول : قد علمت بما صنعت هذا؟ ، وقد علمت بم صنعت هذا؟ ، أي : قد علمت بأي شيء صنعت هذا؟"[١] ، وهو نفسه ما ذهب إليه الزمخشري[٢] ، وجعل المنتجب الهمذاني" إثباتها جائزًا ، وهو الأصل"[٣].

وأميل إلى القول بجواز كون (ما) استفهامية مع إثبات ألفها ، وأرى أن رأي الجمهور بعدم جوازه إنما هو سعي لاطراد القاعدة وعدم خرقها دون النظر إلى المعنى ؛ وذلك للأسباب التالية :

١- أن إثبات الألف - كما رأينا - هو الأصل ، وإن علة العدول عنه كما أشرنا آنفًا هي الفرق بين الخبر والاستفهام في حال السعة والاختيار؛ وعليه فإنه إن أُمِن اللبس أو الخلط بين الخبر والاستفهام ، أو كان المعنى يحتملهما معًا ؛ فإنه يجوز استصحاب الأصل كما في البيت الذي ساقه الفراء .

٢- أننا إذا تدبرنا الآية وسياقها وجدنا المعنى يحتمل الخبر والاستفهام معًا، وأن كلا المعنيين لا تعارض بينهما ؛ بل إنهما يخدمان المعنى القرآني ويثريانه ؛ لذلك لم يُخطِّئ أحدٌ المعنى على الاستفهام ؛ بل ضُعِّف لتعارضه مع القاعدة النحوية ، مستشهدين على ذلك بأن (ما) الاستفهامية المسبوقة بحرف جرٍّ في القرآن جاءت محذوفة الألف كقوله تعالى :﴿فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾[٤]، و﴿عَمَّ يَتَسَاءلُونَ﴾[٥]، وغير ذلك .

---

(١) معاني القرآن للزجاج : ٤ / ٢٨٣ .

(٢) انظر الكشاف : ١٢/٤ .

(٣) الفريد في إعراب القرآن : ٥ / ٣٤٤ .

(٤) سورة الحجر ، من الآية (٥٤) .

(٥) سورة النبأ ، الآية (١) .

٣- أننا إذا تدبرنا تلك المواضع التي حذفت فيها همزة (ما) الاستفهامية في القرآن وجدنها لا تحتمل إلا وجهًا واحدًا هو الاستفهام؛ لذا جاءت محذوفة الألف، ولو حدث ذلك مع هذه الآية وحُذفت الألف لاحتمل المعنى وجهًا واحدًا هو الاستفهام، ولضاع وجهَا الاسم الموصول والحرف المصدري؛ وهو ما يضيق معه المعنى القرآني؛ لذا جاءت (ما) على الأصل؛ لتحتمل الأوجه كافة، والله أعلم .

وعلى الوجهين الأوَّلين لا يجوز الوقف على (يعلمون) إلا كونه رأس آية ؛ لتعلق الجار والمجرور (بما) بالفعل (يعلمون) ؛ وعليه فعلى القارئ الوقف على رأس الآية اتباعًا للسنة ثم وصلها . أما على الوجه الثالث فالوقف جائز لأن (ما) على الاستفهام لا تعلق لها بالفعل قبلها .

١٥ – قوله تعالى عن جزاء أصحاب القرية في سورة (يس) : ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِن بَعْدِهِ مِنْ جُندٍ مِّنَ السَّمَاء وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ(٢٨) إِن كَانَتْ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾[١] .

أُختلف في (ما) والمراد منها في قوله :﴿وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ﴾على أربعة أوجه :

الأول : أنها حرف نفي أعيد تأكيدًا لمعنى الجملة التي قبله (وما أنزلنا)[٢] ، أي " لم ننزل عليهم جندًا ، ولم ننتصر للرسول الذي كذبوه بجند "[٣] ، والمعنى "ما كان يصح في حكمتنا أن ننزل في إهلاك قوم (حبيب) جندًا من السماء ؛ وذلك لأن الله تعالى أجرى هلاك كل قوم على بعض الوجوه دون البعض ؛ وما ذلك إلا بناء على ما اقتضته الحكمة وأوجبته المصلحة . ألا ترى إلى قوله تعالى:

---

(١) سورة يس ، الآيتان (٢٨ ، ٢٩) .

(٢) اختاره الزجاج في معاني القرآن :٢٨٣/٤ ، والنحاس في إعرابه : ٣٩٠/٣ ، والعكبري في إملائه : ٢٠٢/٢ ، والزمخشري في الكشاف : ١٢/٤ ، وأبو حيان في البحر المحيط: ٤٣٩/٧ . وانظر المحرر الوجيز : ٢٤٤/٧ .

(٣) معاني القرآن للزجاج : ٢٨٣/٤ .

﴿فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا﴾[1]"[2] ، وهؤلاء كان إهلاكهم بالصيحة ؛ استحقارًا لإهلاكهمعلى ما نقله ابن عطية عن ابن مسعود " أنه لم يحتج في تعذيبهم إلى جند من جند الله كالحجارة والغرق والريح ، وغير ذلك ؛ بل كانت صيحة واحدة ؛ لأنهم كانوا أيسر وأهون من ذلك "[3] .

الثاني : أنها حرف زائد[4] ، أيْ : وقد كنا منزلين ، قال أبو حيان :

" وليس بشيء"[5]، وجعله الآلوسي " أبعد ما يكون "[6]؛ إذ إنه يناقض أول الآية (وما أنزلنا) ،ويناقض الآية التالية إذ أهلكهم الله بالصيحة، وليس بإرسال الجند . وأرى جواز هذا الوجه وأنه متصل بالمعنى السابق؛ وهو تحقير إهلاكهم وإهمال شأنهم، وتكون الجملة اعتراضية حالية؛ والمعنى – والله أعلم – وما كنا منزلين في إهلاكهم جندًا من السماء حال كوننا مرسلين على غيرهم من الأمم السابقة ، بل كان إهلاكهم بالصيحة .

---

(١) سورة العنكبوت ، من الآية (٤٠) .

(٢) الكشاف : ١٢/٤ .

(٣) المحرر الوجيز : ٧/ ٢٤٤ ، وانظر تفسير البيضاوي : ٢٦٦/٤ .

(٤) نسب مكي هذا الرأي لأكثر العلماء ، مشكل إعراب القرآن : ٦٠٢/٢ ، وانظر إملاء ما منّ به الرحمن : ٢ /٢٠٢ ، البيان في غريب إعراب القرآن :٢/ ٢٩٤ ، ونسبه أبو حيان إلى العكبري ، البحر المحيط : ٤٣٩/٧ ، وكذلك الآلوسي في روح المعاني : ٣٠٨/٢٢ .

(٥) البحر المحيط : ٤٣٩/٧ .

(٦) روح المعاني : ٣٠٨/٢٢ .

الثالث : أنها اسم موصول في موضع جر عطفًا على (من جند)[١] ، قال ابن عطية : "أيْ : من جند ، ومن الذي كنا منزلين على الأمم مثلهم قبل ذلك "[٢] ؛ " إذ أهلكناهم بأصناف من العذاب كالطوفان والصاعقة والحجارة ، وغيرها"[٣]، وهو أيضًا يدخل في احتقار إهلاكهم. واعترض أبو حيان على هذا الوجه بقوله : " وهو تقدير لا يصح ؛ لأن (مِن) في (مِن جند) زائدة ، ومذهب البصريين غير الأخفش أن لزيادتها شرطين : أحدهما : أن يكون قبلها نفي أو نهي أو استفهام ، والثاني : أن يكون بعدها نكرة . وإن كان كذلك فلا يجوز أن يكون المعطوف على النكرة معرفة .... ، وهو[أي:ابن عطية] قدر المعطوف بـ(الذي)، وهو معرفة، فلا يعطف على النكرة المجرورة بـ (من) الزائدة "[٤]. ورد عليه السمين الحلبي بقوله : " فالذي ينبغي عند من يقول بذلك أن يقدرها بنكرة ، أي : ومن عذابٍ كنا منزليه . والجملة بعدها صفة لها"[٥]، وفي الحقيقة فإن السمين الحلبي لم يصحح كون (ما) موصولة بل إنه أضاف وجهًا رابعًا ، هو أن (ما) نكرة موصوفة ، قدَّرها كما رأينا بـ (عذاب) ؛ يدل على ذلك قوله : والجملة بعدها[أيْ :(كنا منزليه)] صفة لها. وأرى صحة القول بأن (ما) موصولة خلافًا لأبي حيان ؛ وذلك لأمرين :

---

(١) قال مكي : هو معنى غريب حسن ، مشكل إعراب القرآن :٦٠٢/٢ ، وقال ابن الأنباري: وهو معنى غريب ، البيان في غريب إعراب القرآن :٢/ ٢٩٤ ، وانظر إملاء ما من به الرحمن : ٢٠٢/٢ ، المحرر الوجيز : ٢٤٤/٧ ، الفريد في إعراب القرآن : ٥ / ٣٤٥ .

(٢) المحرر الوجيز : ٢٤٤/٧ ، وانظر الفريد في إعراب القرآن : ٥ / ٣٤٥ .

(٣) الفريد في إعراب القرآن : ٥ / ٣٤٥ .

(٤) البحر المحيط : ٤٣٨/٧ .

(٥) الدر المصون : ٢٥٨/٩ .

أولهما : أن الشرطين اللذين ذكرهما أبو حيان لزيادة (مِن) محل خلاف بين النحاة ؛ فقد أجيز زيادتها في الموجب ، ومع المعرفة[1] .

ثانيهما: أن (جندٍ) ليست نكرة محضة فلا يجوز أن نعطف عليها المعرفة (الذي) ؛ بل هي نكرة مخصصة ومقيدة بالصفة بعدها (من السماء) ، وبذلك فإنها تقترب من المعرفة .

وهكذا نرى أن هذه الأوجه جميعها تنحو منحى التقليل من شأن هؤلاء القوم، واحتقار طريقة إهلاكهم، وإن اختلف تأويل ذلك؛ فسياق الآيات يأتي في وعيد أهل مكة وإنذارهم بالعذاب، وأن عذابهم وإهلاكم ليس بعسير على الله، ولن يكون بعظيم ؛ فهو إن أراد إهلاكهم فربما سيكون بصيحة كهؤلاء القوم ، أو بأقل من ذلك – والله أعلم– .

١٦– قوله تعالى :﴿وَآيَةٌ لَّهُمُ الأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ(٣٣) وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنْ الْعُيُونِ(٣٤) لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيدِيهِمْ أَفَلاَ يَشْكُرُونَ﴾[2] .

اُختلف في (ما) والمراد منها في قوله : ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ﴾[3] على ثلاثة أوجه :

الأول : أنها اسم موصول ، والضمير عائد عليه ، واختلف في إعرابها على وجهين :

---

(١) في زيادة (مِن) خلاف ؛ فأجازه سيبويه بشرط سبقها بنفي أواستفهام بـ(هل) ، وأن يكون مجرورها نكرة . راجع الكتاب :٣١٥/٢ ، أوضح المسالك :٢٠/٣ ، وذهب الأخفش من البصريين والكسائي وهشام من الكوفيين وتبعهم ابن مالك إلى جواز زيادة (مِن) مطلقًا ، سواء أكان ذلك في النفي أم الإيجاب ، مع النكرة أم المعرفة ، مستدلين على ذلك بما ورد من شواهد الشعر والنثر (القرآن والحديث الشريف). راجع التسهيل لابن مالك : ص ١٤٤ ، شرحه لابن مالك :٩/٢ ، التذييل والتكميل: ١٤٢/١١ ، المساعد : ٢٥١/٢ ، همع الهوامع : ٢ / ٣٧٩ .

(٢) سورة يس ، الآيات (٣٣ :٣٥) .

(٣) قرأ بحذف الهاء : حمزة والكسائي وعاصم، وغيرهم . انظر معجم القراءات القرآنية : ٢٠٧/٥ .

أ – في محل جر عطفًا على (ثمره)[١] ، والمعنى " ليأكلوا من ثمره ومما عملته أيديهم من الغرس والسقي، وغيرها مما يكون منسوبًا إلى عمل أيديهم"[٢]، أو مما يُتخذ من الثمر كالعصير ونحوه[٣].

ب –" محلها الرفع عطفًا على (الأرض) ، على : وآية لهم ما عملته أيديهم "[٤] ، واعتبار ما بين المعطوفين اعتراضًا سيق للتفصيل.

وهذا الوجه كما نرى له وجاهته في لفت نظر الإنسان إلى فضل الله عليه؛ إذ هداه وعلمه ما يكن يعلم فكان له فيما عملته يداه آية ؛ لكن لطول الاعتراض قد لا يتحقق المعنى إلا لدى القارئ أو السامع اليقظ المتنبِّه .

ويجوز كونها اسمًا موصولًا على القراءتين بإثبات الهاء وحذفها ؛ ف "العرب تضمر (الهاء) في (الذي، ومَن، وما) وتظهرها، وكل ذلك صواب "[٥].

الثاني : أنها حرف مصدري لا محل له من الإعراب ، وذلك على قراءة حذف (الهاء)[٦] ، أي : ليأكلوا من ثمره وعَمَلِ أيديهم ؛ فيكون المصدر مجرورًا بالعطف على (ثمره) .

الثالث : أنها حرف نفي لا محل له من الإعراب[٧] ، والمعنى " إنهم يأكلون من ثمره ، وهو شيء لم تعمله أيديهم ؛ بل هي نعمة من الله تبارك وتعالى

---

(١) اختاره النحاس في إعرابه : ٣٩٤/٣ ، والزجاج في معاني القرآن : ٢٨٦/٤ ، ومكي في مشكل إعراب القرآن : ٦٠٣/٢ ، والزمخشري في الكشاف: ١٥/٤، وانظر معاني القرآن للفراء : ٣٧٧/٢، البيان في غريب إعراب القرآن: ٢٩٥/٢، المحرر الوجيز: ٢٤٨/٧ ، البحر المحيط : ٤٤٤/٧ .

(٢) الفريد في إعراب القرآن : ٣٥٠/٥ ، وانظر الكشاف : ١٥/٤ .

(٣) انظر تفسير البيضاوي : ٢٦٨/٤ .

(٤) الفريد في إعراب القرآن : ٣٥٠/٥ .

(٥) معاني القرآن للفراء : ٣٧٧/٢ ، وانظر معاني القرآن للزجاج : ٢٨٦/٤ .

(٦) انظر المحرر الوجيز : ٢٤٨/٧ ، البحر المحيط : ٤٤٤/٧ .

(٧) انظر معاني القرآن للفراء : ٣٧٧/٢ ، إعراب القرآن للنحاس : ٣٩٤/٣ ، معاني القرآن للزجاج : ٢٨٦/٤ ، مشكل إعراب القرآن : ٦٠٣/٢ ، البيان فيغريب إعراب القرآن : ٢٩٥/٢ ، المحرر الوجيز : ٢٤٨/٧ ، البحر المحيط : ٤٤٤/٧ .

عليهم "[1] ، ومفعول (عملت) هو (الهاء) عائد على (الثمر)[2] . وفيه إشارة إلى أن إنبات الزرع وإثماره إنما هو بقدرة الله تعالى ، وإن سقاه الإنسان ورعاه .

وذهب بعضهم إلى أن المختار على وجه النفي قراءة إثبات الهاء دون قراءة الحذف ؛ لأنك تحتاج إلى تقدير مفعول[3] ؛ بينما أجازه البعض ويقدر مفعولًا يعود على الـ(ثمر)[4] .

ومن الواضح أن هذا الخلاف مرده الحرص على اطراد القاعدة النحوية وعدم خرقها ؛ فالفعل المتعدي لا بد له من مفعول . وهذا أمر يضيق واسعًا ، ويضيع جمال النص القرآني وبلاغته . وأرى جواز كون (ما) نافية على قراءة حذف (الهاء) دون الحاجة إلى تقدير مفعول ، من باب لزوم الفعل(عملت) وحذف مفعوله اقتصارًا للعموم والشمول؛ فيكون المعنى نفي استطاعة الناس مطلقًا عن عمل أو خلق شيءٍ مهما كان ، ونسبة جميع الخلق والنعم إلى الله – عز وجل، وفي هذا إشعار للإنسان بضآلته أمام عظمة الخالق – عز وجل– .

ولا يخفى أنه على كون (ما) نافية يجوز الوقف على (ثمره) والابتداء بـ (ما)؛ بينما لا يجوز ذلك على الوجهين الآخرين كون (ما) معطوفة على ما قبلها . كما لا يخفى ما للنبر والتنغيم من دور مهم في بيان تلك الدلالات ونقلها للقارئ والسامع .

---

(١) المحرر الوجيز : ٢٤٨/٧ .

(٢) انظر البحر المحيط : ٤٤٤/٧ .

(٣) انظر معاني القرآن للزجاج : ٢٨٦/٤ ، إعراب القرآن للنحاس : ٣٩٤/٣ ، مشكل إعراب القرآن : ٦٠٣/٢، العكبري في إملائه : ٢٠٣/٢، كشف المشكلات : ١١١٧/٢، البيان في غريب إعراب القرآن : ٢٩٥/٢ .

(٤) انظر المحرر الوجيز : ٢٤٨/٧ ، البحر المحيط : ٤٤٤/٧ ، الفريد في إعراب القرآن : ٣٥٠/٥ .

١٧ – قوله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام في محاورته قومه :﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ(٩٥) وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾[١].

أُختلف في (ما) والمراد منها في قوله :﴿وَمَا تَعْمَلُونَ﴾على أربعة أوجه :

الأول : أنها اسم موصول بمعنى (الذي) في محل نصب عطفًا على الضمير في(خلقكم)[٢] ، أي : " خلقكم وخلق ما تعملونه من الأصنام"[٣] ؛ " فالعمل هنا التصوير والنحت ، نحو: عمل الصائغ السوار، أي : صاغه"[٤]، يفسره الفعل (تنحتون) قبله ، " وإنما عدل عن إعادة الفعل (تنحتون) لكراهية تكرير الكلمة ؛ فلما تقدم لفظ (تنحتون) علم أن المراد بـ (ما تعملون) ذلك المعمول الخاص وهو المعمول للنحت ؛ لأن العمل أعم . يقال : عملت قميصًا، وعملت خاتمًا ..... "[٥] ؛ ويقوي كونها موصولة سياق الآيات المستنكر ما يقوم به المشركون ؛ فـ " الله خلقكم وخلق الذي تعملونه وتنحتونه من الأصنام؛ فكيف تعبدونه وهو مخلوق لله ؟!"[٦] ، بالإضافة إلى تقدُّم (ما) عليها في الآية السابقة بمعنى (الذي) ؛ فتكون هي أيضًا بمعنى (الذي)[٧].

---

(١) سورة الصافات ، الآيتان (٩٥ ، ٩٦) .

(٢) اختاره النحاس في إعرابه : ٤٣٠/٣ ، والزمخشري في الكشاف :٥١/٤ ، وأبو حيان في البحر :٤٨٨/٧ ، وجعله السمين الحلبي في الدر المصون أجود الآراء : ٣٢١/٩ ، وانظر إملاء ما من به الرحمن : ٢/ ٢٠٧ ، المحرر الوجيز : ٢٩٩/٧ .

(٣) الكشاف : ٥١/٤ .

(٤) الدر المصون : ٣٢١/٩ ، وانظر الكشاف : ٥١/٤ ، البحر المحيط : ٤٨٨/٧ .

(٥) التحرير والتنوير : ١٤٥/٢٣ .

(٦) بدائع الفوائد ، ابن قيم الجوزية ، تحقيق: علي بن محمد العمران ، إشراف :بكر بن عبد الله أبو زيد ، مطبوعات مجمع الفقه الإسلامي ، جدة ، د.ت: ٢٥٣/١ ، وانظر البحر المحيط : ٤٨٨/٧ ، التحرير والتنوير : ١٤٦/٢٣ .

(٧) انظر الكشاف : ٥٢/٤ ، الدر المصون :٣٢٢/٩ ، البحر المحيط : ٤٨٨/٧.

وقد تمسك الزمخشري بهذا الوجه مستدلًا به على مذهب المعتزلة إن أفعال العباد وحركاتهم غير داخلة في خلق الله تعالى[١] ؛ حتى يُخرجوا الشر – ونحْتُ الأصنام شر– من مخلوقات الله ؛ فكانت قراءتهم " من شرِّ ما خلق " بالتنوين بدلًا من الإضافة ؛ لنفي خلق الشر عن الله[٢] ؛ فجعل الزمخشري المعنى أن الأصنام مخلوقة لله من الحجارة والأخشاب، معمولة لهم على التصوير والنحت[٣]. غير أنه في الحقيقة احتجاج عليهم بدليل سياق الآيات كما أشرنا[٤] ، أما كون الأصنام معمولة لهم من حيث النحت فإنه يدخل أيضًا في خلق الله" باعتبار أن الإقدار على الفعل ، وخلق ما يتوقف عليه من الدواعي والأسباب منه تعالى "[٥].

الثاني : أنها حرف مصدري ، والمصدر المؤول في محل نصب عطفًا على الضمير في (خلقكم) ، والتقدير (خلقكم وعملكم)[٦] . وبهذا الوجه استدل كثير من أهل السنة والجماعة على أن أفعال العباد كلها مخلوقة لله تعالى خيرًا كانت أو شرًّا، على معنى "أن الأفعال خلق لله عز وجل، واكتساب للعباد "[٧]؛ فهم

(١) انظر الكشاف : ٥١/٤ . ، مشكل إعراب القرآن : ٦١٦/٢ .

(٢) الصحيح أن الله –جل ذكره– أعلمنا أنه خلق الشر، وأمرنا أن نتعوذ منه به ؛ فإذا خلق الشر وهو خالق الخير بلا اختلاف دلّ على أنه خلق أعمال العباد كلها من خير وشر"مشكل إعراب القرآن : ٦١٦/٢، وانظر رد ابن المنيِّر السكندري على الزمخشري في الانتصاف بحاشية الكشاف : ٥١/٤ .

(٣) انظر الكشاف : ٥١/٤ ، القرطبي : ٩٦/١٥ ، الفريد في إعراب القرآن : ٣٨٩/٥ .

(٤) انظر البحر المحيط : ٤٨٨/٧ .

(٥) روح المعاني : ١٢٧/٢٣ ، وانظر تفسير البيضاوي : ١٤/٥ ، وحاشية الشهاب عليه : ٨٨/٨ .

(٦) اختاره مكي في المشكل : ٦١٥/٢ ، والعكبري في إملائه : ٢٠٧/٢ ، وابن الأنباري في البيان : ٣٠٦/٢ ، وانظر المحرر الوجيز : ٢٩٩/٧ ، البحر المحيط : ٤٨٨/٧ .

(٧) تفسير القرطبي : ١٥ / ٩٦ .

أصحاب المشيئة والإرادة في اختيار أعمالهم، غير أنه لا ينفصل عن علم الله الذي وسع كل شيء، على عكس مذهب المعتزلة الذي أشرنا إليه آنفًا . لذلك وصف مكي هذا الوجه بأنه " أليق "[١] .

غير أن هذا الوجه وإن كان صحيحًا في معناه العام إلا أنه قد لا يتوافق مع سياق الآيات التي تدور حول توبيخ الكفار على اتخاذهم ما ينحتونه إلهًا مع أنه مخلوق مثلهم ؛ فكيف يعبد المخلوقُ المخلوقَ ؟! ؛ فإذا كان المعنى : الله خلقكم وخلق عبادتكم لها ؛ لم يكن ثمة احتجاج على هؤلاء الكفار[٢]. وأرى أن ما دعا إلى هذا التأويل هو الرد على المعتزلة لا غير ؛ لذا أرى أن يصرف معنى المصدر المؤول إلى النحت استنادًا لما أشرنا إليه في الوجه السابق ؛ ويكون المعنى : والله خلقكم ونحتكم ، أيْ : منحوتكم (الأصنام) ، من باب مجيء المصدر بمعنى اسم المفعول، وهو أمر شائع في اللغة ، ومنه قوله تعالى:﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾[٣]، قال أبو حيان: " و(بخس) مصدر وُصف به بمعنى مبخوس "[٤].

الثالث : أنها اسم استفهام في محل نصب بـ(تعملون) توبيخًا وتحقيرًا لعملهم[٥]. والمعنى " وأيَّ شيء تعملون في عبادتكم ، أصنامًا تنحتونها؟، أي : لا عمل لكم يعتبر "[٦] ، تحقيرًا لعملهم ، وتصغيرًا له.

الرابع : أنها حرف نفي لا محل له من الإعراب[٧] ، " بمعنى : وأنتم لا تعملون شيئًا في وقت خلقكم ولا قبله ، ولا تقدرون على شيء "[١]؛ أيْ : أنتم لا

(١) مشكل إعراب القرآن : ٦١٥/٢ .
(٢) راجع هذا بشيء من التفصيل ، بدائع الفوائد : ٢٥٨/١ ، وما بعدها .
(٣) سورة يوسف ، من الآية (٢٠) .
(٤) البحر المحيط : ٣٧٩/٥ .
(٥) انظر إعراب القرآن للنحاس : ٤٣٠/٣ ، إملاء ما من به الرحمن : ٢٠٧/٢ ، البيان في غريب إعراب القرآن : ٣٠٦/٢ ، الدر المصون : ٣٢٢/٩ .
(٦) البحر المحيط :٤٨٨/٧ .
(٧) انظر المحرر الوجيز : ٢٩٩/٧ ، الدر المصون : ٣٢٢/٩ ، البحر المحيط : ٤٨٨/٧ .

تملكون من أمركم شيئًا ، ولا تملكون لأنفسكم نفعًا ولا ضرًّا ، ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا.

وهكذا نجد أن الأوجه يُسلم بعضها إلى بعض ؛ فالوجهان الأوّلان أثبتا أن الأمر كله لله ، يدخل في ذلك الآلهة والأصنام التي يعبدونها من دون الله . وإذا كان الأمر كذلك جاء الاستفهام محقرًا وموبخًا مَن يسلك هذا المسلك ، متخذًا مما ينحته آلهة من دون الله ؛ ثم يأتي النفي مؤكدًا ذلك ؛ فكيف تفعلون ذلك وقد خلقكم الله ، وأنتم لا تملكون من أمركم شيئًا ؟! .

ويلاحظ أنه على الوجهين الأولين لا يجوز الوقف على" والله خلقكم " ؛ لأنه عطف ، بينما يجوز على وجهي الاستفهام والنفي ، مع مراعاة ما للنبر والتنغيم من دور في إظهار المعنى .

١٨- قوله تعالى :﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلاَ أَبْصَارُهُمْ وَلاَ أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُونَ﴾[٢] .

اُختلف في (ما) والمراد منها في قوله: ﴿فَمَا أَغْنَى﴾على وجهين :

الأول : أنها حرف نفي لا محل له من الإعراب[٣] ، " والمفعول (من شيء)، تقديره : فما أغنى عنهم شيئًا .... ودخول (مِن) للتأكيد يدل على أن (ما)

---

(١) المحرر الوجيز : ٢٩٩/٧ ، وانظر البحر المحيط : ٤٨٨/٧ .

(٢) سورة الأحقاف ، الآية (٢٦) .

(٣) اختاره مكي في مشكل إعراب القرآن : ٦٦٨/٢ ، وابن عطية في المحرر : ٦٢٩/٧ ، السمين الحلبي في الدر المصون : ٦٧٦/٩، أبو حيان في البحر المحيط: ٩١/٨ ، وانظر النحاس في إعرابه : ١٧٠/٤ ، ابن الأنباري في البيان :٣٧٢/٢ .

للنفي"[١] ؛ فلم يغن عنهم أو ينفعهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم ؛ إذ وقر الكفر في نفوسهم ، وطُبع على قلوبهم .

الثاني : أنها اسم استفهام في موضع نصب بـ (أغنى)، والتقدير : أيَّ شيء أغنى[٢] ، على سبيل التوبيخ ، وتقرير عدم انتفاعهم بهذه الجوارح . ورفض المنتجب الهمذاني وأبو حيان هذا الوجه لورود (من شيء)؛ يقول أبو حيان: " إذ يصير التقدير : أيَّ شيء مما ذكر أغنى عنهم من شيء ؛ فتكون (من) زيدت في الموجب ، وهو لا يجوز على الصحيح "[٣] . ورد عليه السمين بقوله : " قلت: قالوا : تجوز زيادتها في غير الموجب ، وفسروا غير الموجب بالنفي والنهي والاستفهام ، وهذا استفهام "[٤] ، وهو ما أراه، وقد أشرت إلى ذلك آنفًا[٥] .

١٩- قوله تعالى :﴿**وَلَقَدْ جَاءهُم مِّنَ الأَنبَاء مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ(٤)حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ**﴾[٦] .

اُختلف في (ما) والمراد منها في قوله :﴿**فَمَا تُغْنِ**﴾على وجهين :

الأول : أنها اسم استفهام[٧] ، إما في موضع نصب مفعول به بـ (تغني) والتقدير : "فأيَّ شيء تغني النذر عمن اتبع هواه ، وخالف الحق؟ "[١] ،

---

(١) مشكل إعراب القرآن : ٦٦٨/٢ ، وانظر البيان في غريب إعراب القرآن : ٣٧٢/٢ .

(٢) انظر إعراب القرآن للنحاس : ١٧٠/٤ ، مشكل إعراب القرآن : ٦٦٨/٢ ، البيان في غريب إعراب القرآن : ٣٧٢/٢ ، المحرر الوجيز : ٦٢٩/٧ ، البحر المحيط: ٩١/٨ .

(٣) البحر المحيط : ٩١/٨ ، وانظر الفريد في إعراب القرآن : ٦١٣/٥ . ويبدو التناقض في كلام أبي حيان إذ إنه ذكر جواز زيادتها في الاستفهام من قبل، وهو هنا لم يجزه ، فربما قصد الاستفهام بـ (هل) خاصة كسيبويه. انظر ص ٥٣ من البحث، وانظر البحر المحيط: ٤٣٨/٧ .

(٤) الدر المصون : ٦٧٦/٩ ، وانظر حاشية الشهاب : ٤٧٩/٨ .

(٥) راجع في هذه المسألة ص ٥٤ ، هامش (٣) .

(٦) سورة القمر ، الآيتان (٤ ، ٥) .

(٧) اختاره الزمخشري في الكشاف : ٤٣٢/٤ ، وانظر معاني القرآن للفراء : ١٠٥/٣، إعراب القرآن للنحاس : ٢٨٦/٤ ، معاني القرآن للزجاج : ٨٥/٥ ، مشكل إعراب القرآن :

وإما نصب مفعول مطلق ، والتقدير " فأيَّ إغناء تغني النذر"[٢]. وقيل: إنها في محل رفع على الابتداء ، والجملة خبر ، والعائد مقدر، والتقدير : فما تغنيه النذر؟[٣]. والاستفهام كما نرى جاء على سبيل التوبيخ[٤]،أو النفي أوالإنكار[٥] ، أو التقرير[٦].

الثاني : أنها حرف نفي لا محل له من الإعراب ، ومفعول (تغني) محذوف، تقديره : من شيء أو شيئًا[٧] ، أي " ليست تغني عنهم النذر"[٨].

وأرى أن كلا المعنيين جائز ، ويخدم كلٌّ منهما – سواء النفي المحض أو الاستفهام المضمن معنى النفي –المعنى في تأكيد عدم انتفاع الكافرين بما أُنذروا به سواء على أيدي رسلهم ، أو رؤية آيات الله البينات في الأمم السابقة ، وكيف كانت عاقبة المكذبين الذين طبع الله على قلوبهم فهم لا يفقهون ؛ وهو ما يتفق مع العديد من الآيات القرآنية في هذا الشأن كقوله تعالى :﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ

٦٩٧/٢ ، البيان في غريب إعراب القرآن : ٤٠٣/٢ ، المحرر الوجيز: ١٣٩/٨، البحر المحيط : ٢٤٨/٨ .

(١) إعراب القرآن للنحاس : ٢٨٦/٤ ، وانظر معاني القرآن للفراء : ١٠٥/٣ ، معاني القرآن للزجاج : ٨٥/٥ .

(٢) انظر حاشية الشهاب : ٢٧/٩ .

(٣) نسب الشهاب في حاشيته هذا الرأي لابن هشام : ٢٧/٩ ، وانظر روح المعاني : ١٨٧/٢٦ .

(٤) انظر معاني القرآن للزجاج : ٨٥/٥ .

(٥) انظر الكشاف : ٤٣٢/٤ .

(٦) انظر المحرر الوجيز : ١٣٩/٨ .

(٧) اختاره أبو حيان فيما يبدو من ظاهر كلامه في البحر المحيط : ٢٤٨/٨ ، وانظر معاني القرآن للفراء : ١٠٥/٣، إعراب القرآن للنحاس : ٢٨٦/٤ ، معاني القرآن للزجاج : ٨٥/٥، مشكل إعراب القرآن : ٦٩٧/٢ ، البيان في غريب إعراب القرآن : ٤٠٣/٢ ، المحرر الوجيز : ١٣٩/٨ .

(٨) معاني القرآن للفراء : ١٠٥/٣ .

عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُون﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾[2].

٢٠- قوله تعالى حكاية عن المنافقين : ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاء مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ(٢) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَفْقَهُونَ﴾[3] .

أُختلف في (ما) والمراد منها في قوله :﴿مَا كَانُوا﴾على ثلاثة أوجه :

الأول : أنها اسم موصول بمعنى(الذي) ، " في موضع رفع بـ(ساء) ، وما بعدها صلتها ، والعائد محذوف تخفيفًا ، أي : ساء الشيء الذي كانوا يعملونه ؛ فحذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه "[4] .

الثاني : أنها اسم ، نكرة موصوفة في موضع نصب[5] ؛ " أي : ساء شيئًا، وما بعدها صفتها ، والهاء أيضًا محذوفة من الصفة ، وحذفها من الصلة أحسن من حذفها من الصفة "[6] .

---

(١) سورة البقرة ، الآية (٦) .
(٢) سورة الفرقان ، الآية (٤٤) .
(٣) سورة المنافقون ، الآيتان (٢ ، ٣) .
(٤) الفريد في إعراب القرآن : ١٥٤/٦ . ونسب كلٌّ من : النحاس في إعراب القرآن : ٤٣٢/٤، ومكي في مشكل إعراب القرآن :٧٣٥/٢ ، هذا الرأي لسيبويه ، وانظر البيان في غريب إعراب القرآن : ٤٤٠/٢ .
(٥) نسب كل من : النحاس في إعراب القرآن : ٤٣٢/٤ ، ومكي في مشكل إعراب القرآن: ٧٣٥/٢ ، هذا الرأي للأخفش ، وانظر البيان في غريب إعراب القرآن : ٤٤١/٢، الفريد في إعراب القرآن : ١٥٤/٦ .
(٦) الفريد في إعراب القرآن : ١٥٤/٦ .

الثالث : أنها حرف مصدري لا محل له من الإعراب ، وهي مع ما بعدها في موضع رفع بـ(ساء) ؛ فلا تحتاج هنا إلى تقدير هاء محذوفة[١] ، و" المعنى ساء عملهم بأن كفروا بعد إيمان "[٢] .

ولعل في تأويل (ما) بـ (المعرفة) : الاسم الموصول ، أو المصدر ما يوحي بالتهويل لما فعلوه من كفرهم بعد إيمانهم ؛ كما أن تأويلها بالنكرة الموصوفة فيه استنكار وتحقير لمسلكهم ؛ إذ كيف يستبدلون الكفر بالإيمان .

٢١- قوله تعالى على لسان الكافر يوم القيامة : ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَالَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهْ(٢٥)وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيهْ(٢٦) يَالَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ(٢٧) مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ(٢٨)هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيهْ(٢٩)خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾[٣] .

أُختلف في (ما) في قوله :﴿مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ﴾والمراد منها على وجهين :

الأول : أنها حرف نفي لا محل له من الإعراب[٤] ، والمفعول محذوف، والتقدير : " ما أغنى عني مالي شيئًا "[٥] ، وذلك على سبيل إقرار المكذبين والكافرين بشقائهم ، وأن ما هم فيه من العذاب أمرٌ واقعٌ مشاهَد ، لا ينقذهم منه

---

(١) نسب مكي هذا الرأي لابن كيسان ، مشكل إعراب القرآن : ٧٣٥/٢ ، وانظر البيان في غريب إعراب القرآن : ٤٤٠/٢ ، المحرر الوجيز : ٣٠٨/٨ ، الفريد في إعراب القرآن: ١٥٤/٦.

(٢) المحرر الوجيز : ٣٠٨/٨ ، وانظر الفريد في إعراب القرآن : ١٥٤/٦.

(٣) سورة الحاقة ، الآيات (٢٥ : ٣٠) .

(٤) انظر مشكل إعراب القرآن : ٧٥٥/٢ ، إملاء ما من به الرحمن : ٢٦٨/٢، الكشاف : ٦٠٤/٤، البيان في غريب إعراب القرآن : ٤٥٨/٢ ، المحرر الوجيز : ٣٩٣/٨ ، الفريد في إعراب القرآن : ٢١١/٦ ، البحر المحيط : ٤٥٧/٨ .

(٥) مشكل إعراب القرآن : ٧٥٥/٢ .

منقذ من مال أو غيره ، يقول أبو حيان : " أخبر بذلك متأسفًا على ماله ؛ حيث لم ينفعه "[١] . أو أن المعنى " بل ألهاني عن أمر الآخرة فضرني ولم ينفعني "[٢] .

الثاني : أنها اسم استفهام في محل نصب بـ(أغنى) ، والتقدير: أيَّ شيء أغنى عني ماليه[٣]، " على معنى التقرير لنفسه والتوبيخ "[٤] ، أو الإنكار[٥] ، أو أنَّ الاستفهام مضمن معنى النفي[٦].

والوجهان كما نرى جائزان ، لا تناقض بينهما ؛ غير أنه يمكن ترجيح وجه النفي فهو أشد إيلامًا، ويناسب الحال التي عليها الكافر يوم القيامة ؛ فالإقرار بالذنب هو أصدق شهادة؛ فكأن الإنسان يحكم على نفسه . كما أنه يتماشى مع زفرات وأنات الكافر؛ فلو تدبرنا الآيات، وما جاء على لسان الكافر لوجدناها تسير هكذا : يا ليتني: تمن، ولم أدْرِ: نفي، يا ليتها : تمنٍ ، ما أغنى: نفي، ثم يختم كلامه بالإخبار" هلك عني سلطانيه "مطلقًا من مال أو جاه أو غير ذلك، ثم يأتي الحكم من الله " خذوه فغلوه " . والله أعلم .

٢٢- قوله تعالى : ﴿يَاأَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ(٦)الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ(٧) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾[٧].

---

(١) البحر المحيط : ٤٥٧/٨ .

(٢) الفريد في إعراب القرآن : ٢١١/٦ .

(٣) اختاره مكي في مشكل إعراب القرآن : ٧٥٥/٢ ، وانظر إملاء ما من به الرحمن: ٢٦٨/٢، الكشاف : ٦٠٤/٤ ، البيان في غريب إعراب القرآن : ٤٥٨/٢ ، المحرر الوجيز : ٣٩٣/٨ ، الفريد في إعراب القرآن : ٢١٢/٦ ، البحر المحيط : ٤٥٧/٨ .

(٤) المحرر الوجيز : ٣٩٣/٨ .

(٥) الكشاف : ٤/ ٦٠٤ .

(٦) انظر الفريد في إعراب القرآن : ٢١٢/٦ .

(٧) سورة الانفطار ، الآيات (٦ : ٨) .

أُختلف في (ما) والمراد منها في قوله :﴿مَّا شَاءَ﴾على ثلاثة أوجه :

الأول : أنها حرف زائد فيه معنى التأكيد[١] ، وجملة (شاء) في محل جر صفة لـ(صورة) ، والمفعول به محذوف ، تقديره : شاءها ، يعود على الموصوف (صورة) ، والتقدير : " ركبك في أي صورة شاءها "[٢].

واختُلف في متعلق الجار والمجرور (في أي صورة)؛ فقيل : إنه متعلق بـ(ركبك)[٣] ، وجعله ابن عطية رأي الجمهور[٤] ، " والمعنى : ركبك في أي صورة اقتضتها مشيئته وحكمته من الصور المختلفة في الحسن والقبح ، والطول والقصر، والذكورة والأنوثة، ..... "[٥]، أو " وضعك في بعض الصور ومكنك فيه "[٦]، و(أيّ) " صفة حُذف موصوفها زيادة للتفخيم والتعجيب، وأصله في صورة أيٍّ صورة ، كما تقول : مررت برجل أي رجل "[٧]، و"ركبك" بيان لـ"عدلك" لذا لم يعطف بينهما بالفاء كالذي قبله[٨]. وقيل : متعلق "بمحذوف ، أي : ركبك حاصلاً في بعض الصور، ومحله النصب على الحال"[٩] . وقيل : يتعلق

---

(١) اختاره النحاس في إعراب القرآن : ١٦٩/٥ ، والزمخشري في الكشاف:٧١٦/٤ ، وابن عطية في المحرر الوجيز : ٥٥٤/٨ ، وانظر معاني القرآن للزجاج : ٢٩٥/٥ إملاء ما من به الرحمن :٢٨٢/٢ ، البيان في غريب إعراب القرآن:٤٩٨/٢ ، البحر المحيط : ٦١٠/٨ .

(٢) كشف المعضلات : ١٥٥٠/٢ .

(٣) انظر معاني القرآن للفراء : ٢٤٤/٣ ، الكشاف :٧١٦/٤ ، الفريد في إعراب القرآن : ٣٥٥/٦ ، تفسير النسفي : ٦١١/٣ .

(٤) انظر المحرر الوجيز : ٥٥٤/٨ .

(٥) الكشاف : ٧١٦/٤ .

(٦) الفريد في إعراب القرآن : ٦/ ٣٥٥ .

(٧) حاشية الشهاب : ٤٣٦/٩ .

(٨) انظر الكشاف : ٧١٦/٤ ، البحر المحيط : ٦١٠/٨ .

(٩) الكشاف :٤/ ٧١٦ ، وانظر الفريد في إعراب القرآن : ٦/ ٣٥٥ .

بـ(بربك)[١]، على معنى الوعيد والتهديد، أي: ما غرك بربك الكريم " الذي إن شاء ركبك في صورة حمار أو خنزير أو غيره "[٢].

الثاني : أنها اسم شرط[٣] ، و"(شاء) في موضع جزم بـ(ما) ، و(ركبك) جوابها"[٤]؛ " فيكون المعنى : في أي صورة ما شاء أن يركبك فيها ركبك"[٥] ، أو " ما يشاءْ من الصور يركبْك"[٦] ، والجملة في محل جر صفة لـ(صورة) ، والعائد على الموصوف محذوف تقديره :" ركبك عليها"[٧] . " و(في) في هذا الوجه متعلق بعامل مقدر ؛ لأنما بعد حرف الشرط لا يعمل فيما قبله[٨]..... تقديره : كونك في أيِّ صورة "[٩] . ويجوز أن يكون متعلقًا بـ (عدلك)[١٠].

---

(١) نسب ابن عطية هذا الرأي إلى بعض المتأولين ، المحرر : ٥٥٤/٨ ، واختاره أبو حيان ونسبه إلى الجمهور، البحر المحيط : ٨ / ٦١٠ ، وأرى أنه ربما وقع تحريف ؛ فذكر(بربك) بدلًا من (ركبك) ؛ إذ قال بعده : " أي : وضعك في أي صورة ..." .

(٢) المحرر الوجيز : ٨ / ٥٥٤ .

(٣) انظر معاني القرآن للزجاج : ٢٩٥/٥ ، إملاء ما منّ به الرحمن : ٢٨٢/٢ ، البيان في غريب إعراب القرآن :٤٩٨/٢ ، الفريد في إعراب القرآن :٦ /٣٥٥ .

(٤) البيان فيغريب إعراب القرآن : ٤٩٨/٢ .

(٥) معاني القرآن للزجاج : ٢٩٦/٥ ، وانظر تفسير القرطبي : ١٢٢/٢٢ .

(٦) الفريد في إعراب القرآن : ٣٥٥/٦ .

(٧) إملاء ما منّ به الرحمن : ٢٨٢/٢ ، وانظر كشف المشكلات : ١٤٣٥/٢، الفريد في إعراب القرآن :٦ /٣٥٥ .

(٨) انظر الإيضاح العضدي ، أبو علي الفارسي ، حققه وقدم له د / حسن شاذلي فرهود ، بدون ناشر ، الطبعة الأولى ١٣٨٩هـ – ١٩٦٩م : صـ ٣٢١ .

(٩) البيان لابن الأنباري : ٤٩٨/٢ ، وانظر الفريد في إعراب القرآن : ٣٥٦/٦

(١٠) انظر الكشاف : ٧١٦/٤ ، تفسير البيضاوي : ٢٩٢/٥ ، البحر المحيط : ٦١٠/٨ ، وانظر الاعتراض الموجه إلى هذا الرأي في الوجه الثالث لـ (ما).

الثالث : أنها حرف مصدري[١] ، وهذا الوجه لم يذكر صراحة ؛ وإنما هو مستنبط من تأويل الزمخشري لمعنى الآية ؛ فهو كما مرّ بنا ذكر أن (ما) زائدة؛ غير أنه ذكر من بين وجوه تعلق الجار والمجرور(في أيِّ صورة) جواز تعلقه بـ(فعدلك)، ثم قال : " ويكون في (أيّ) معنى التعجب، أي : فعدلك في صورة عجيبة، ثم قال: ما شاء ركبك، أي: ركبك ما شاء من التراكيب، يعني تركيبًا حسنًا "[٢]؛ " وعلى هذا تكون (ما) منصوبة بـ (شاء)"[٣] ، على المصدرية ؛ لأننا إذا قرأنا الآية سنقف على (في أي صورة) ، ثم نبتدئ (ما شاء ركبك) كما أشار الزمخشري ؛ فلو كانت (ما) زائدة لحذفت ؛ فكيف سيكون المعنى والتقدير ؟! .

واعتُرض على هذا بأن اسم الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله[٤] ؛ وربما استشعر الزمخشري هذا الأمر فذكر أن (أيّ) فيها معنى التعجب ؛ فتكون " (أيَّ) الدالة على الكمال ... كما تقول : مررتُ برجل أيِّ رجل . و(أيٌّ) الكمالية منقولة من الاستفهام ؛ لكنها لانسلاخ معناه عنها بالكلية عمل فيها ما قبلها كما في المثال "[٥]. وأميل إلى ما ذهب إليه الزمخشري ، وتبعه فيه المنتجب الهمذاني[٦]، وهو ظاهر كلام أبي حيان[٧] ؛ إذ إنه على التأويل السابق يَخرج من

(١) انظر الكشاف : ٧١٦/٤ ، المحرر الوجيز : ٥٥٤/٨ ، البحر المحيط : ٦١٠/٨ ، الدر المصون : ٧١١/١٠ .
(٢) الكشاف : ٤ /٧١٦ .
(٣) البحر المحيط : ٦١٠/٨ ، وانظر الدر المصون : ٧١١/١٠ .
(٤) انظر الدر المصون : ٧١١/١٠ .
(٥) حاشية الشهاب : ٤٣٦/٩ ، وانظر الفريد في إعراب القرآن : ٣٥٦/٦ .
(٦) انظر الفريد في إعراب القرآن : ٣٥٦/٦ .
(٧) فقد ذكره ولم يعترض عليه ، البحر المحيط : ٦١٠/٨ .

دائرة الاعتراض عليه[1] ؛فنضيف إلى الدلالة القرآنية معنًى لا يتعارض مع غيره فلنأخذ به.

وهكذا نجد أن الأوجه جميعها تتكامل في تشكيل المعنى ؛ فـ(ما) الزائدة جاءت لتؤكد أن خلق الإنسان وتركيبه في الصور المختلفة إنما هو بأمره ومشيئته سبحانه . ثم تأتي الشرطية لتؤكد المعنى أيضًا فتجعل التركيب في أي الصور مشروطًا ومرتبطًا بمشيئة الله ووفق إرادته . كما أن مجيء التعبير بـ(ما) المصدرية وتأويلها مع الفعل بالمصدر الصريح مسبوقًا بـ(أي) الكمالية أفاد التعظيم لله وقدرته على الخلق .

* *

الخاتمة :

يعدُّ البحث في القرآن الكريم والتفيؤ في ظلاله ، ولاسيما المتعلقة بالقضايا اللغوية من أمتع أنواع البحوث وأجلها وأعلاها شأنًا ؛ نظرًا لارتباطها بهذا الكتاب المقدس الذي بلغ أسمى درجات الفصاحة والبيان ؛ من حيث اختيار الألفاظ وانسجامها، وتعدد معاني المفردة الواحدة في التركيب نفسه أحيانًا؛كل ذلك في نسيج محكم. وقد انطلق الباحث في ذلك من قولهم قديمًا : الإعراب فرع المعنى؛ فكما رأينا فإن تعدد الوجوه الإعرابية لـ(ما) بمعانيها المختلفة قد فرَّع المعنى القرآني وأثراه. وقد توصل الباحث من خلال بحثه إلى **بعض النتائج**، من أهمها :

(١) اعترض السمين الحلبي على هذا الوجه حتى مع صرف (أيّ) إلى التعجب . وأرى أن في اعتراضه تكلفًا . راجع الدر المصون : ٧١١/١٠ .

١- تنوع معنى (ما) بين الاسمية والحرفية ، وتنوع معناها داخل كلا القسمين ، خلال آيات القرآن الكريم .

٢- من أنواع ومعاني (ما) الاسمية فيما تناولناه : الاستفهامية ، والشرطية، والموصولة ، والنكرة الموصوفة .

٣- من أنواع ومعاني (ما) الحرفية فيما تناولناه : النافية ، والزائدة ، والمصدرية بنوعيها .

٤- كان لتنوع المعنى الدلالي الذي تحمله (ما) أثره في تنوع الدلالة القرآنية ، وثرائها .

٥- تكامل الأوجه الدلالية للمعاني التي تحملها (ما) بدلالاتها المختلفة ؛ فمنحتنا صورة أشمل للنص القرآني .

٦- ليس ثمة تناقض بين الدلالات القرآنية المختلفة نتيجة اختلاف معاني (ما) .

٧- اختلاف مواضع الوقف والابتداء تبعًا لنوع (ما) ودلالاتها المختلفة .

٨- أهمية النبر والتنغيم كونهما من القرائن الخارجية التي تعمل على إيصال المعنى للمتلقي .

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم .**

١- الأزهية في علم الحروف ، علي بن محمد الهروي ، تحقيق عبد المعين الملوحي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م .

٢- الأشباه والنظائر، جلال الدين السيوطي ، تحقيق د/ عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م .

٣- إعراب القرآن، أبو جعفر النحاس ، تحقيق د/ زهير غازي زاهد ، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ- ١٩٨٨م .
٤- أمالي ابن الشجري ، هبة الله بن علي بن حمزة ، تحقيق ودراسة د / محمود محمد الطناحي ، مكتبة الخانجي ، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ -١٩٩٢م.
٥- إملاء ما منَّ به الرحمن ، أبو البقاء العكبري ، دار الكتب العلمية ، بيروت، بدون محقق أو تاريخ طبع .
٦- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، ابن هشام الأنصاري ، تحقيق الأستاذ/ محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الطلائع ، الطبعة الأولى ٢٠٠٤م.
٧- الإيضاح العضدي ، أبو علي الفارسي ، حققه وقدم له د / حسن شاذلي فرهود ، بدون ناشر ، الطبعة الأولى ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م .
٨- البحر المحيط ، أبو حيان الأندلسي ، حقق أصوله وعلق عليه وخرج أحاديثه د / عبد الرزاق المهدي ، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢ م .
٩- بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية ، تحقيق: علي بن محمد العمران ، إشراف : بكر بن عبد الله أبو زيد ، مطبوعات مجمع الفقه الإسلامي ، جدة ، د.ت .
١٠- البرهان في علوم القرآن ، الزركشي ، تحقيق الأستاذ / محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار التراث ، الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .
١١- البيان في غريب إعراب القرآن ، أبو البركات بن الأنباري ، تحقيق د / طه عبد الحميد ، مراجعة د / مصطفى السقا ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠ م .
١٢- التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل ، أبو حيان الأندلسي ، تحقيق د/ حسن هنداوي ، دار القلم ، دمشق ،الطبعة الأولى ١٤١٩هـ -١٩٩٨م ، وما بعدها . دار كنوز إشبيليا ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م .

١٣- تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد ، ابن مالك ، حققه وقدم له الأستاذ/ محمد كامل بركات ، دار الكتاب العربي ، ١٣٨٧هـ- ١٩٦٧م .
١٤- تفيسر البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، أبو الخير عبد الله بن عمر البيضاوي ، إعداد وتقديم / محمد عبد الرحمن المرعشلي ، دار إحياء التراث العربي ، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت ، د.ت .
١٥- تفسير التحرير والتنوير ، محمد الطاهر بن عاشور ، الدار التونسية للنشر ، ١٩٨٤م .
١٦- تفسير الطبري ، جامع البيان ، محمد بن جرير الطبري ، تحقيق د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي ، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر د/ عبد السند حسن يمامة ، هجر للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م .
١٧- تفسير الفخر الرازي ، التفسير الكبير ، مفاتيح الغيب ، بدون محقق ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .
١٨- تفسير القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ، تحقيق د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي وآخرين ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦ م.
١٩- الجمل في النحو ، أبو القاسم الزجاجي ، حققه وقدم له د / علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، دار الأمل، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
٢٠- الجنى الداني في حروف المعاني ، الحسن بن أم قاسم المرادي ، تحقيق د/فخر الدين قباوه ، والأستاذ / محمد نديم فاضل ، دار الكتب العلمية . بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م .

٢١- حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي ، شهاب الدين الخفاجي ، ضبطه وخرج آياته وأحاديثه الشيخ عبد الرزاق المهدي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ - ١٩٩٧م .

٢٢- الحجة في علل القراءات السبع ، أبو علي الفارسي ، تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود وآخرَين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م .

٢٣- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ، السمين الحلبي ، تحقيق د/ أحمد محمد الخراط ، دار القلم ، دمشق ، د.ت .

٢٤- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني ، قرأه وعلق عليه ، الأستاذ/ محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني بالقاهرة ، دار المدني بجدة ، الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ - ١٩٩٢ م .

٢٥- ديوان عمرو بن معديكرب، ديوانه، جمعه ونسقه : مطاع الطرابيشي ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٢٦- ديوان كعب بن مالك ، دراسة وتحقيق : سامي مكي العاني ، مكتبة النهضة ، بغداد ، الطبعة الأولى ١٣٨٦هـ -١٩٦٦م .

٢٧- رصف المباني ، أحمد بن عبد النور المالقي ، تحقيق د/ أحمد محمد الخراط ، دار القلم ، دمشق ، الطبعة الثالثة ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

٢٨- روح المعاني ، شهاب الدين الآلوسي ، تحقيق / ماهر حبّوش وآخرين ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

٢٩ - شرح أبيات مغني اللبيب ، عبد القادر البغدادي ، تحقيق : عبد العزيز رباح ، أحمد يوسف دقاق ، دار المأمون للتراث ، دمشق ، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ - ١٩٨٨م .

٣٠- شرح التسهيل ، ابن مالك ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، وطارق فتحي السيد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٣١- شرح التسهيل ، ناظر الجيش ، دراسة وتحقيق د/علي محمد فاخر وآخرِين ، دار السلام ، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م .

٣٢- شرح جمل الزجاجي ، ابن عصفور الإشبيلي ، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه : فواز الشعار ، إشراف د / إيميل بديع يعقوب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م .

٣٣- شرح الكافية الشافية ، ابن مالك ، تحقيق : علي محمد عوض ، وعادل أحمد عبد الموجود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م .

٣٤- شرح المقدمة الجزولية الكبير ، أبو علي الشلوبين ، درسه وحققه د/ تركي بن سهو بن نزال العتيبي ، مكتبة الرشد ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م .

٣٥- الفريد في إعراب القرآن المجيد ، المنتجب الهمذاني، حقق نصوصه وخرجه وعلق عليه: محمد نظام الدين الفتيح، دار الزمان للنشر والتوزيع، السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ -٢٠٠٦م .

٣٦- الكتاب، سيبويه، تحقيق وشرح الأستاذ / عبد السلام ومحمد هاون ، مكتبة الخانجي، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .

٣٧- الكشاف عن حقائق وغوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جار الله محمود بن عمر الزمخشري ، رتبه وضبطه وصححه : مصطفى حسن أحمد ، دار الريان للتراث، الطبعة الثالثة ،١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م .

٣٨- كشف المشكلات وإيضاح المعضلات، أبو الحسن الباقولي ، حققه وعلق عليه وصنع فهارسه د/ محمد أحمد الدالي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م .

٣٩- اللباب في علوم القرآن ، عمر بن علي بن عادل الدمشقي ، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وآخرِين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م .

٤٠- المحرر الوجيز ، ابن عطية ، تحقيق وتعليق : الرحالة الفاروق ، وآخرين ، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ، قطر ، الطبعة الثانية ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م .

٤١- المسائل العسكرية ، أبو علي الفارسي ، تحقيق ودراسة د / محمد الشاطر أحمد محمد ، مطبعة المدني ، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٢م .

٤٢- المساعد على تسهيل الفوائد ، ابن عقيل ، تحقيق وتعليق د / محمد كامل بركات، مركز البحث العلمي وإحياء التراث ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، جامعة الملك عبد العزيز ، ١٤٠٠هـ -١٩٨٠م .

٤٣- مشكل إعراب القرآن مكي بن أبي طالب القيسي ، تحقيق د / حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٤م .

٤٤- مصابيح المغاني في حروف المعاني، محمد بن علي بن الخطيب الموزعي، دراسة وتحقيق د/ عائض بن نافع العمري، دار المنار، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م .

٤٥- معاني الحروف، علي بن عيسى الرماني، حققه وخرج حديثه وعلق عليه الشيخ عرفان بن سليم العشا حسونة، المكتبة العصرية، صيدا ، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م .

٤٦- معاني القرآن أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء ، تحقيق الأستاذين : محمد علي النجار ، أحمد يوسف نجاتي ، عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣ م .

٤٧- معاني القرآن وإعرابه ،أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج ، شرح وتحقيق د / عبد الجليل عبده شلبي ، عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨ م .

٤٨- معجم القراءات القرآنية ، مع مقدمة في القراءات وأشهر القراء ، د / أحمد مختار عمر ، د / عبد العال سالم مكرم ، مطبوعات جامعة الكويت ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م .

٤٩- مغني اللبيب ، ابن هشام الأنصاري ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٤١١هـ-١٩٩١م .

٥٠- المقتضب ، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد ، تحقيق الشيخ/ محمد عبد الخالق عضيمة ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، وزارة الأوقاف المصرية ، الطبعة الثالثة ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م .

٥١- المقرب ، ابن عصفور الإشبيلي ، تحقيق : أحمد عبد الستار الجواري ، وعبد الله الجبوري ، الطبعة الأولى ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م .

٥٢- النكت في شرح كتاب سيبويه ، الأعلم الشنتمري ، دراسة وتحقيق الأستاذ/ رشيد بلحبيب، وزارة الأوقاف المغربية والشئون الإسلامية، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م .

٥٣- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، جلال الدين السيوطي ، تحقيق : أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م .

* * *